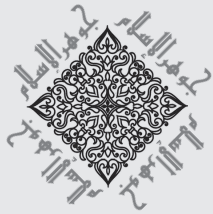

جوهر الإسلام

العدد 8/7 ـ السنة 23
جمادى الأولى 1446 هـ / نوفمبر 2024 م

الثمن 5 د.ت ـ 5 أورو

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة **الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله**

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر ـ تونس 1000
الهاتف الفاكس	216.71.327.130 216.71.423.233
البريد الالكتروني الموقع الالكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	01000021111000023810 6
ISSN	0330-4957

الثمن للأفراد	الاشتراك بتونس	الاشتراك للمؤسسات
بتونس 5 د.ت	للأفراد : 30 د.ت	بتونس 50 د.ت
بالخارج 5 أورو	بالخارج 40 أورو	بالخارج 50 أورو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمَ

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة
الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

1446 هـ/ 2024 م

الفهرس

الافتتاحية 5

رئيس التحرير

صالح الحاجة

الافتتاحية :

الاجتهاد المنشود اليوم في ضوء الواقع المعاصر

يصدر هذا العدد7/ 8 من مجلة جوهر الإسلام من سنتها23 متضمنا كالمعتاد الأبواب القارة من تفسير وشرح حديث وأجوبة على أسئلة فقهية وخطبة جمعية وحلقة من سلسلة مفاهيم إسلامية ومتابعة لما يعقد من ندوات وما يصدر عنها من بيانات وتوصيات وما ينشر من إصدارات بالإضافة إلى مجموعة من البحوث والدراسات العلمية التي تبحث في النوازل والمستجدات وتقدم انجع الطرق والسبل لاستئناف حركة الاجتهاد التي تشتد إليها الحاجة في هذه ا الحقبة الدقيقة التي تمر بها الأمة الإسلامية والتي تزداد فيها التحديات التي تواجه اتباع الرسالات السماوية بصفة عامة ومنهم المسلمين الذين تقهقر دورهم الريادي طيلة القرون الماضية و لا يزالون منذ ما يزيد على القرن يحاولون اللحاق بركب الأمم المتقدمة دون ان يبلغوا مرادهم ويالأسف الشديد.

وكان ولا يزال موضوع الاجتهاد الشديد الارتباط بالتقدم العلمي محل دراسة وبحث من طرف أهل الذكر من العلماء والمصلحين والزعماء والقادة السياسيين المتفقين جميعا على الحاجة الماسة إليه باعتباره السبيل الو حيد الذي تتجسم به المعادلة الصعبة المتمثلة في الملاءمة بين الأصالة والمعاصرة في معناها الشامل والصحيح وباعتبار الاجتهاد هو الكفيل بجعل المسلمين أفرادا ومجتمعات يعيشون عصرهم مواكبين لما فيه من مستجدات اذ لم يبق مجال من مجالات الحياة إلاّ وشهد تطورا وتقدما لم تعرف له البشرية نظيرا في سابق عهودها على الأقل في تسارع مكتشفاته وشمولها ولا سبيل إلى تجاهل ذلك فهو واقع معيش ولا مفر منه ولا سيبل أيضا إلى انعكاساته الإيجابية وما يلابسها من سلبيات تتهدد في الكثير من الأحيان القيم الروحية والأخلاقية المحققة للتوازن الذي لا بد منه ولا غنى عنه ليظل هذا الإنسان في المنزلة والمكانة التي خصه وميزه بها خالقه جل وعلا الذي أمر ملائكته بالسجود لابيه آدم عليه السلام الذي اختاره الله لخلافته في الأرض و ليعمرها بنوه من بعده إلى ان يرث الله ومن عليها وهو خير الوارثين.

ان الاجتهاد هو السبيل المحقق لهذه الغاية ولا يمكن أن يكون من مهام أفراد من الأمة كما كان في سالف العصور فحياة المجتمعات في كل ارجاء المعمورة تعقدت وتشعبت و طغى فيها الجانب المادي الذي لا سبيل إلى تجاهله والاجتهاد الجماعي الذي لا ينبغي أن يستبعد منه أي طرف بسبب اختلاف مذهبي أو بدعوى أن أهل الذكر من الفقهاء هم وحدهم من يبتون في الشأن الديني بما يصدر عنهم من فتاوى وأجوبة لما يكثر السؤال

فيه ليس فقط من طرف الأفراد بل من طرف الهيئات من المختبرات ومؤسسات الانتاج الغذائي والدوائي وغيرهما.

في هذا العدد كما هو في الاعداد السابقة من مجلة جوهر الإسلام في سلسلة إصدارها الجديدة اكثر من بحث ودراسة حرصنا على تعميم الإفادة بها لا علام كبار من تونس ومن بلاد الغرب الإسلامي وبقية البلدان الأخرى التي تتكون منها الامة الإسلامية بمختلف أعراقها ولغاتها ومذاهبها باعتبارها جميعها تتكون منها الامة التي هي واحدة ما يجمع بينها اكثر بكثير مما هي مختلفة فيه.

لقد حرصت جوهر الإسلام في اعدادها السابقة طيلة سنتها الثالثة والعشرين على ان تعمم الإفادة بسلسلة من البحوث حول موضوع أدوات النظر الاجتهادي المنشود في ضوء الواقع المعاصر كتبها وأحاط بها من مختلف جوانبها الأستاذ الدكتور قطب مصطفى سانو الذي يشغل حاليا خطة الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي فقد اشبع بالدرس المعمق أدوات النظر أداة تلو أداة(لغة الوحي أساسيات النحو والبلاغة وفقه اللغة و علم دراية الحديث مبادئ الجرح والتعديل والتصحيح والتضعيف و علم أصول الفقه أساسيات مباحث الحكم والأدلة والقواعد والاجتهاد وعلم المقاصد أساسيات ومبادئ ومسالك ووسائل التقصيد وعلم الخلاف أصول ومناهج الاستنباط والاستدلال والعلوم الإنسانية والاجتماعية أساسيات المناهج وأدوات الرصد والتحليل والقياس وهي الأداة الأخيرة التي تضمن قسمها الأخير هذا العدد من جوهر الإسلام).

وانا لنعد هذه الدراسة عن أدوات النظر الاجتهادي المنشود في ضوء الواقع المعاصر خريطة طريق لاجتهاد نتمنى مخلصين أن يستنار بها في مسيرة الاجتهاد الذي تشتد إليه حاجة الأمة وتجتهد عديد الهيئات على امتداد العالم الإسلامي على راسها مجمع الفقه الإسلامي الدولي الذي لم ينفك منذ تأسيسه يثري الساحة الدينية بقراراته وبحوث أعضائه وخبرائه والتي تعد اليوم رصيدا تجد فيه جميع الأطراف ما تتطلع إليه من اجتهاد جماعي د عا إليه أعلام الأمة في طليعتهم سماحة الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله منذ منتصف القرن الماضي.

وجريا على ما درجت عليه جوهر الإسلام من احياء ذكرى اعلام الغرب الإسلامي يجد القارىء ملفا عن الزعيم المغربي والمفكر الإسلامي علال الفاسي رحمه الله بمناسبة مرور خمسين سنة على وفاته(1974/ 2024) تحية لروحه وجهاده وتعريفا بأعماله ومؤلفاته.

وتمضي جوهر الإسلام بعون الله في هذا الدرب من مجالات العمل الإسلامي في وفاء صادق وخالص لنهج مؤسسها فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله الذي تخصه بالعدد القادم9/ 10 من سنتها23 والتي تصادف الذكرى الماوية لميلاده والذكرى الخمسين لوفاته سائلين الله السداد والتوفيق انه سبحانه وتعالى سميع مجيب

رئيس التحرير

تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (23) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (24) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (27) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (28) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (29) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (30) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (31)**﴾

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ

سورة الإنسان ـ الآيات 24/ 31

لقد اعد الله للكفار والفجار من جزاء وفاق ما اعده للأبرار من فوز وفلاح في عاجل أمرهم وآجله وأعد لهم أيضا جنانا تجري من تحتها الأنهار فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتنشرح به الصدور وتقربه العيون إذ أنّ لباس أهلها السندس والاستبرق وهما أجود أنواع الحرير وشرابهم السلسبيل المخلوط بما يزيده لذاذة وطيبا وطعامهم من غلال لذيذة لا مقطوعة ولا ممنوعة مذللة سهلة التناول ﴿**وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ**﴾ يقوم بخدمتهم ولدان مخلدون كل هذا كان لهم جزاء لأنّ الله قد شكر لهم سعيهم وبارك لهم أعمالهم، وبعد أن يجول القرآن بأهل النعيم هذه الجولة الممتعة في رحاب الفردوس حيث النعيم المقيم والحياة الوادعة الهادئة بعد ذلك يعود إلى الرسول الأعظم ﷺ ليذكره باصطفاء الله له وبإكرامه بإنزال القرآن عليه ليكون غذاءه الروحي الذي لا يحس معه بجوع ولا يتألم من نصب أو إرهاق أو أذى فيقول له ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (23) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**﴾ ومن أنزل عليه ربه القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين وتلقاه بقلب مطهر من

جميع الأدران وبشرح قلبه للإسلام فهو خليق وجدير بان يكون من اولى الصبر الجميل الذين يتقبلون أحكام ربهم برضى تام واطمئنان كامل وذلك هو ما توحي به الفاء التي فرعت الصبر لأحكام الله عن تنزيل القرآن ومزجه بنفس من تتنزل عليه لان فيه من الأسرار والأنوار والاذكار ما يسمو بالمتشرب لروحه المحلق في سمائه المتعلق بمراميه البعيدة والقريبة، أفليس في كل ذلك ما يرفع أصحاب هذه النفوس المشرقة المحلقة من عوالم الضعف والمتعة والخضوع والاستسلام اجل انه للغذاء الذي لا يعادله غذاء وانه للسلاح الذي لا يقارعه سلاح فكيف يطيع أهله المتأدبون بآدابه فضلا عمن انزل عليه كيف يطيعون أي مجرم اثيم أو يخضعون لتهديد أي كفور كنود ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**﴾.

إنّ التحذير من طاعة الآثمين والكافرين ليشير إلى بدء تلك المعركة الطاحنة والحرب الضروس التي خاضها الدعاة إلى الله منذ بدء الخليقة مع طواغيت الكفر واساطين الالحاد والفسوق: فلا بد من ان تتوطن نفوس المؤمنين على تحمل لظاها والاصطبار على شراستها، وخير ما يعتمد عليه فيها المؤمنون هو القرآن الكريم اذ قد اكد ذلك لنا من انزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للمؤمنين، وانه للحق الذي لا مراء فيه ولا نقاش لأنه بالرغم من دعوته إلى الاخذ بأسباب الحياة واعداد العدة للنوازل والخطوب والاعداء يختص بخلق القوة المعنوية الايمانية التي لا تقتلع إلاّ مع النفس الأخير وهذه القوة هي التي تقيم الميزان والتكافؤ بين القلة المؤمنة الفقيرة العزلاء وبين الكثرة الملحدة المدججة بالسلاح المعتزة بالثراء والجاه والسلطان ورغم اعتزازها واستماتتها في الدفاع عن الذات وعن الامتيازات لا تكون الهزيمة في النهاية إلاّ من نصيبها لان أهدافها ضعيفة وليست بشريفة فما أعظم من يجعل النصر حبسا على المؤمنين الصادقين الصابرين الذين لا يستعملون في معاركهم إلاّ أسلحة الحق والشرف وما أكرم من يهزم الكثرة التي توزعتها العواطف وتشتتها المذاهب رغم وسائلها الجهنمية وأسلحتها المتنوعة تلك الاسلحة التي منها الافك والبهتان ومنها الغدر والتعذيب ومنها المكابرة والعناد، ولم يهمل الله سبحانه وتعالى شأن هذه القوة الساحقة الماحقة الرعناء اذ الح على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأن يقووا من أسلحتهم المعنوية الروحية حتى لا يدب اليهم الوهن ولا يعتريهم الضعف والانخرام فقال ﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا**﴾ نعم إنّ التسلح والاستعداد للطوارئ لا يمكن ان يقف عند حد معين ولا ان يقيد بزمن محدود ومن اجل هذا ألح الله سبحانه وتعالى على دوام الاتصال ومواصلة اليقظة والانتباه ولا يكون ذلك الا بذكر الله وعبادته والاخلاص له واستنزال رحمته وعونه في كل بكرة يوم وأصيله وفي أوائل كل ليل وفي أواسطه ومؤخراته ولقد أحاطت الآية الكريمة بأوقات العبادة المفروضة للاستجابة والقبول لان البكرة هي ما بين الفجر والشروق أمّا الأصيل فهو ما بين الظهر والعصر واما المغرب والعشاء فقد تضمنهما قوله ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا**﴾ وإذا كان المؤمن على صلة بربه في هذه الأوقات التي يخلو فيها بنفسه وينتهي من عمله فانه يسجد لمن هو اقرب إليه من نفسه واراف به من أبيه وأمه يمده بالرشاد ويقيه من شر العباد .

الإيمان في عالم مُتغيّر

بقلم الشيخ عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه
رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي، رئيس منتدى أبوظبي للسلم

إن موضوع هذا المؤتمر مهم وراهن وواسع ومنتشر يصعب حصره، يجعل المرء يتردد بين خشية الاختصار المخل، أو خوف الإطناب الممل، وهكذا جاءت هذه الكلمة بين التذكير والتفكير، محذوفة الشواهد، مطروحة الزوائد، مشيرة إلى جملة من القضايا الواصفة، والمسائل الكاشفة.

1 ـ الحاجة إلى الإيمان في عالم متغير

العنوان الجيّد للموضوع الجيد هو العنوان الذي يفتح آفاقا متشعبة للنظر، وإن عنوان مؤتمرنا هو من هذا النوع الكثيف، فقد ربط بين مفهومين شديدي الصلة ووثيقي العلاقة: التغير والإيمان.

وقديما ربط بينهما المتكلمون حين جعلوا ملاحظة التغير الملازم للعالم مقدمة صغرى لقياس «حملي» لإثبات حدوث العالم، فقالوا:

العالم متغير

وكل متغير حادث،

إذا العالم حادث.

أما اليوم فنحن نَفِر من التغيّر إلى ثبات الإيمان بطريق أخرى هي طريق سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي استدل بالموجودات على الموجد، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا

(1) كلمة معالي الشيخ عبد الله بن بيه بمناسبة المؤتمر الدولي «الإيمان في عالم متغير»، الرباط، المغرب، 12–13 ربيع الثاني 1446– 15–16 أكتوبر 2024م.

قَالَ هُذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾، وفي نهاية مسار الاستدلال نجا إلى هداية الله (قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)، ثم انتهى إلى (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

كثيرون هم الفلاسفة وعلماء الاجتماع الذين عُنوا بوصف عالمنا الحديث، وتفنَّنُوا في الكشف عن سماته وأحواله، وكلّهم يتفقون على وصفه بأنه عالم السيولة والتغير المتسارع.

التغير اليوم سمة الزمان وشيمة العصر والأوان، ومبدأ الحياة، لقد جعلت التكنولوجيا من السرعة واختزال اللحظة والمكان، والتجدّد المستمر معايير للقيمة والجودة. كل شيء في تغير متلاحق من الذّرة إلى المجّرة، كل شيء مُعَجّل وبلا مَهَل، وكأن الوجود يُعْرض بتقنية العرض السريع، صور تمرّ أمامَ أنظار المشاهد في تدفّق لا ينقطع، المشهد تلو الآخر، والحدث تلو الآخر.

السرعة غير مقصورة على الأسباب المادية من المواصلات والتواصل، بل تشمل سرعة انتقال الأفكار والآراء والمعلومات والأخبار (الصحيحة والزائفة)، فتلك كلها مناح مختلفة تتضامن لإحداث مفعول واحد وأثر متميز في صياغة بنية الفرد المعاصر، والتأثير في تماسك المجتمع.

التغير السريع والحياة السائلة والشك الذي سرى في كل أوصالها، كل ذلك استتبع حالة من الحيرة والانبهار، فغدا الإنسان مدهوشا مشدوها ومبهوراً لسرعة الواردات التي ترد عليه وتواليها المستمر، يعيش منغمسا في الأشياء عن ذاته، محتجبا بحُجُبِها الكثيفة عن الأسئلة التي تلحّ عليه، غارقا في غمرة اللحظة، التي تغمر عقله وقلبه، غمرة كغمرة البحر اللجي، تلك الغمرة التي وصفها القرآن الكريم ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾[1] وعبر عنها كذلك بالسُمُود[2] وهو اللهو والتلهي.

ولعل الفيلسوف الفرنسي باسكال كان يشير إلى شيء من هذا عندما تكلم عن حالة التلهي le divertissement ، التي يلجأ إليها الإنسان فراراً من نفسه ومواجهة حقائقه العميقة، حقيقة الفناء والضعف والجهل.

وإذا كان الإنسان هو الشاهد وهو المشهود، كما قال بعض المفسرين[3]، شاهد على نفسه من نفسه، ولخالقه، وعلى الكون من حوله، فإنّ الحياة قد تغمُره، فيتخلّى عن وضعه الإنساني الأصيل، وضع المسؤولية والأمانة، فيغدو في حالة من الذهول والانفعال، تتقاذفه أمواج الحياة، ما له من قرار، «يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي

كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا»كما في الحديث الصحيح. في هذه الرحلة بالذات التي فيها غَمرةٌ وغياب للقدرة على الحضور والاستحضار والمواكبة، في هذا التهافت، والتفكّك، يحسُّ الإنسان بضرورة استعادة جاذبية المعنى، التي تمنحه نقطة ارتكاز وثبات، وتظهر الحاجة إلى رؤية للكون تقدم له الاستقرار.

هنا تبرز الرؤية الوحيدة الكفيلة بذلك، وهي الرؤية الإيمانية، التي تغرس الوجود الإنساني في نسيج متّصل من المعنى، تقدم له رواية متسقة عن ذاته، ممتدة من النشأة (السبب) ومتصلة إلى المصير (الغاية)، رواية يجملها قول المؤمن «إنا لله وإنا إليه راجعون»، وتقدم له العروة الوثقى التي لا انفصام لها، التي تمنح للمستمسك بها رسوخاً واستقراراً. الإيمان يقدم للإنسان ثباتاً في هذا المشهد السيال، فيقدم له تصورا خارج العرض الذي يأسر الفكر ويستحوذ عليه، تصورا لا يتماهى مع العرض، ولكنه ليس بالضرورة مجانبا له.

بالإيمان يخضع الإنسان لجاذبية الحقيقة وليس الانجذاب وراء الوهم.

الإيمان يُخرج الإنسان من غمرته التي انعكست على سلوكه سلباً وتصرفاته فساداً بظلم نفسه وأبناء جنسه وبيئته الكونية بتلويث الفضاء وصنع المخترعات غير الآمنة التي استعملها في التدمير بدل التعمير والقتل بدل المحافظة على الحياة، وكل ذلك يرجع إلى ضمور الإيمان وغياب الأفق الأخلاقي، مما حاولت البشرية تداركه من خلال أنظمة الأمم المتحدة المختلفة ومنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وهي مبادرات حسنة القصد والغاية، إلا أن غياب المرجعية الإيمانية لها-مع أسباب أخرى- أدّى إلى عدم فعّاليتها.

2 ـ معنى الإيمان

قد لا تنتظرون مني في هذا المقام أن أسرد عليكم التعاريف المعروفة للإيمان، فحديث جبريل واضح ومشهور، ومع ذلك أثار هذا المفهوم من الجدل واستثار من النظرِ وتطلَّب من التحرير الكثير، لا سيما في علاقته بمفهوم الإسلام، شمولا كما يفهم من عبارات بعض السلف، أو تمايزا كما استقر عليه القول لدى بعض المتأخرين.

ذلك خلافٌ طويل لسنا بوارده، وحسبنا أن نقول إن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا في سياق افترقا حقيقة و«ماصدَقا»، وإذا انفرد أحدهما غطى مساحة الآخر، ونشبه تلك العلاقة بالشجرة، فالإيمان شجرة تستثمر في أرض الإسلام، وتثمر في سماء الإحسان، أي أن الاعتقاد الصحيح إنما يَنبت في تربة الأعمال، ليرتقي صعُدا في أفق العرفان.

والإيمان علم والإسلام عمل، والإحسان روح. والعلم مقدمةُ العمل، كما قال أبو عبدالله البخاري في صحيحه، بابٌ العلم قبل العمل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾.

لذاك قيل العلم يدعو العملا إن يلـــفه قر وإلا ارتحلا

فإذا كان الإيمان علماً، فذلك يعني من زاوية النظر الإسلامية التقليدية أنه انكشاف للمعلوم على ما هو عليه، وله ثلاث وسائل من مصادر المعرفة:

المصدر الأول هو الحسُّ، وهو مجموع ما ركب في الإنسان من وسائل الإدراك للمحسوسات، التي تنشأ بها لدى الإنسان معارف ضرورية عن الموجودات، لكنّ هذا المصدر محجوب في هذه الدار عن الإدراك للباري سبحانه وتعالى، ولذلك فإنه لا ينتج على وجه الاستقلال والتفرّد أي معرفة معتبرة في باب الإيمان، وإنما قد يصلح مقدمة صغرى.

المصدر الثاني هو العقل، وينقسم العلم الحاصل بالعقل إلى علم **ضروري** وآخر **نَظَرِيّ**: ·فأما **الضروري** فهو المغروس في النفس البشرية من البدهيات، فيعرفه كل عاقل ويدركه كلُّ مميز بَداهةً، مثل: أن الواحد نصف الاثنين، والجزء أقل من الكل، واستحالة الجمع بين النقيضين..الخ.

وأما **النظري** فهو ما احتاج إلى تأمّل وإعمال للعقل، وهو ما يسمى نَظَراً عند أهل علم الكلام والمنطق والأصول، والذي يرى الجويني أنه عبارة عن حركات الفكر في المنظور ليصل في النهاية إلى علم، من خلال الاستدلال أي طلب الدليل، والدليل هو عبارة عن مرشد إلى مدلول معيّن لدلالته عليه بنوع من الدلالات.

ومبنى النظر العقلي على إعمال الدلالة أي الانتقال من حاصل معلوم وقد يكون محسوساً إلى مطلوب مجهول، من خلال أحد أوجه الدلالة، ولا سيما عن طريق دلالة اللزوم العقلي، وهو لزوم ناشئ عن افتقار المسبب إلى السبب والمعلول إلى العلة ضرورة، فيصبح النظري اضطراراً عقلياً، عبّر عنه المتكلمون والفلاسفة بمختلف العبارات والمتصوفة بمختلف الإشارات.

هذا المصدر المركب من الحس والعقل، هو محلّ بحث الباحثين، واضطراب المضطربين، ومعترك المذاهب من خلال أدلّة عقليّة تجد مقدمتها الصّغرى في الحس والوجود، ومقدمتها الكبرى في العقول والألباب، فكان مبدأ السببية ومبدأ الغاية وما سماه ابن رشد دليل العناية شواهد تستحضر الآيات، التي هي نقوش القدرة في صفحة الخلق للذين يحسنون استنطاقها، وهي الأبجدية الأساسية لقراءة الكون.

المصدر الثالث: الخبر، وهو الدليل الأكبر والمرشد الأهدى سبيلا والأقوم قيلا، والمقصود في هذا السياق ليس كل خبر وإنما الخبر القائم على الوحي الذي هو علم لدني ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، علم ليس بناشئ عن إعمال نظر ولا تركيب قضايا، يُؤْتاه الأنبياء المصطفون من خلق الله لتلقي الوحي، والوحي هو اتصال إلهي بالإنسان المصطفى -على سبيل الإلهام أو بواسطة ملك، لإطلاعه على جملة من الحقائق، وإبلاغه برسالة إلى البشرية هي مراد الخالق من الخلق..

هذه المصادر هي الآيات والنذر، التي تتكامل وتتعاضد للدلالة على الإيمان والتوصيل إلى سبيل الاطمئنان، والتي بها تقع الهداية الناقلة للإيمان من حيّز الإمكان والاستعداد الذي جبل عليه الإنسان، وركز في فطرته، إلى حيز التحقّق والوقوع الذي هو اصطفاء وتوفيق، فالنذر هي تذكير وإيقاظ للنفس للارتقاء من عالم الموجودات إلى البحث عن الموجد بالاعتبار بالآيات.

وهكذا، فهذه رؤية للإيمان ثلاثية الأركان، يأخذ الحس فيها نصيبه، ويوضع العقل في نصابه، ويكون الوحي مهيمناً ومرشداً للحس والعقل فيما يقفان دونه من الماورائيات والحقائق التي لا يدركها الإنسان أو التي لم يكتشف بعد أنه لا يدركها وفق قاعدة: **أن عدم الوجدان لا يعني عدم الوجود وعدم العلم لا يعني علم العدم**، وهي حقائق تتعلق بالنشأة وحكمة الايجاد ونعمة الموجد، وقانون الأخلاق والجزاء في دار البقاء.

3 ـ وقفات توضيحية

لا بد لنا هنا من وقفات عجلى لمعالجة بعض الإشكالات التي تثار حول هذه المصادر،

·الوقفة الأولى مع العلم بمعناه الحديث:

مضت حقبة كان بعض الناس يرفعون دعوى مصادمة العلم للدّين، ومردُّ ذلك إلى عدم توضيح العلاقة وتحديد المجالات بينهما. والحق أن العلم بمعناه الحديث منهج إنساني قائم على البحث في الكائنات، وقصاراه كما يقول العالم الفرنسي كلود برنار (Claude Bernard) [4] البحث عن العلل الثانوية للأشياء، وليس له مرتقى

إلى العلل الأولى. ولذلك فإن الأسئلة التي يُعنى بها الدين غيرُ تلك الأسئلة التي تجيب عليها العلوم.

ومعتمد العلم الحديث على الملاحظة والتجربة التي توصل بالاستقراء إلى قوانين كما يقول الفيلسوف رَسَلْ[5]، ولذلك فهي قوانين لا يمكن أن ترقى إلى القطعية، بل تظل معرضة للنقض بحسب ما يستجد من المعطيات، ولعل أشهر مثال على ذلك هو مثال قانون نيوتن لتفسير الجاذبية والذي ظلّ طيلة قرون هو الحقيقة العلمية، حتى اصطدم بشذوذ كوكب عطارد، فكان ذلك داعياً إلى البحث عن قانون جديد وهو ما توصل إليه آنشتاين من خلال وضع نظرية النسبية العامة.

وليس من شأن العلم أن يثبت أو ينفي ما وراء مجاله فعدم وجدانه للغيبيات لا ينفي وجودها، وعدم علمه بها لا يفيد علما بعدمها، فكم من أمر لم يكن للإنسانية به علم ثم تمّ اكتشافه، فلم يكن عدم علمه علما بعدمه.

وقد وجد فئات من سدنة العلوم في كل العصور، ممَّن حفزهم بحثهم في الكون على الإيمان لما رأوه من بديع آثار الخالق، ومن هؤلاء نيوتن.

لقد جاء العلم الحديث لينقل الجدل المتعلق **بحدوث العالم** إلى مجاله، حين سلم للدين المقدمة الصغرى ليبني عليها المقدمة الكبرى «**كل محدث فلا بد له من محدث**»، ليكون القديم الذي لم يسبق على وجوده عدم هو واجب الوجود. وهكذا يُصلح برهان السببية بين الدين والعلم، فكما يقول ديكارت «**أن العدم لا يخلق وجوداً**».

ولهذا فإن تحميل العلم مسؤولية الإلحاد أو ضربه بالدين وضرب الدين به، كل ذلك سببه الخطأ في تعامل الناس مع العلم حيث طلبوا منه أن يجيب على أسئلة من خارج ميدانه:

إذا سلكت للغور من بطن عالجٍ فقولا لها ليس الطريقُ هنالكِ

·الوقفة الثانية مع الخبر:

تعرّض الخبر لنقد كبير في العصر الحديث وتبخيس مبالغ فيه لحجيته، مع أنّ البشرية لا يمكن أن تستغني عن الخبر بأية حال، فهو أكثر مصادر المعرفة اعتماداً في كل تفاصيل الحياة صغيرها وكبيرها، وبه يقضي الناس معايشَهم اعتماداً على الاطمئنان الذي يمنحونه للتواتر وللثقة.

ولذلك فلا بد في هذا العصر من إعادة بيان مركزية الخبر في النسق المعرفي البشري عموماً، وفي نسقنا الإسلامي خاصة حيث أبدع المسلمون منهجية توثيق وتنقيح للأخبار لا يوجد مثلها في أي أمة أخرى.

·الوقفة الثالثة مع النبوة:

إن اشتقاق كلمة النبي لغة مختلف فيه اختلافا جرّ ذيوله على الترجيح بين قراءتَيْ الهمز كما لدى نافع وعدم الهمز كما لدى الآخرين:

نبــوة مــن نبــإ لخــب ❋ وغالبا عن نبإ ذي خطر
أو من نبا ينبو إذا ما ارتفعا ❋ ولكلا الأصلين وجهٌ سُمعا

أما في الاصطلاح الشرعي فالنبي هو مَنْ يتلقّي الوحي من الله سبحانه وتعالى، بواسطة الملك أو بالإلهام، والمراد به ورود شيء على النفس البشرية المصطفاة، يقع فيها، فيطمئن إليه الإنسان فتصير به الأشياءُ النظرية أو الخارجةُ عن دائرة المقولات العقلية ضروريةً لديه.

النبي قد يكون مكلفا بإبلاغ ما يُوحى إليه، فيسمى رسولا، وقد يكون مستأنِفا لشرع خاص، وقد يكون مجددا لتعاليم رسول سبقه، كما كانت أنبياء بني إسرائيل، على اختلاف كثير بين العلماء على التباين والترادف، والراجح هو العموم والخصوص فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا.

النبوة ظاهرة فريدة، تقع لأفراد هم المصطفون الأخيار، وهي برهان على قيُّوميّة المولى سبحانه على خلقه؛ ومظهر من مظاهر رحمته بالإنسان ولازم من لوازم قدرته. فإمكانها لا يحيله العقل، ووقوعها يصدقه الواقع، ومع ذلك أقام الباري جل وعلا الدليل على النبوة في الإنسان نفسه ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، وذلك بواردات ترد على النفس، وباستشعار الأحداث خارج السياق المعتاد لإدراك الموجودات، وذلك من خلال الرُّؤَى التي لا يتمارى أحد في وقوعها، والتي تقدم الأحداث مرموزة فتفسرها الوقائع أو يفك شفرتها من له علم من الكتاب. وأحيانا تقدم المشهد الذي سيكون بكل جلاء ووضوح فتتجلى في الواقع على وفقها.

الرؤيا الصادقة نموذج من خاصية النبوة أودع في الإنسان لتقريب هذه الحقيقة الكبرى، وهي ظاهرة غير مخصوصة بأمة عن أمة ولا بجنس دون آخر، وربما لا يخلو منها أحد، سواء تذكرها أو لم يتذكرها.

إنها شهادة للنبوة قائمة في الإنسان، لأن الرؤيا في بعض صورها خارج دائرة الحس والعقل وما زالت محيرة، رغم تفسير العلم الحديث لها بأنها: ظاهرة نفسية ترد في حالة النوم». ولهذا يقول الفيلسوف الفرنسي الشاعر بول فاليري: إن الرؤيا هي فرضية لأننا لن نعرفها أبدا إلا بالذكرى، Le rêve est une hypothèse puisque nous ne le connaissons jamais que par le souvenir» إن التصديق بنبوة الأنبياء أو برسالة الرسل يتأتى عن طرق كثيرة وقرائن تنقدح في النفوس لا يمكن دحضها، نذكر منها ما يلي:

·**أولا**: سيرة النبي، فالأنبياء هم مثال على مرِّ الزمان في أقوامهم في حسن السلوك واستقامة الخُلُق والصِّدق والأمانة حتى قبل أن ينزل عليهم الوحي, فهم طائفة متميزة من حيث السِّمات والاستقامة والسلوك وعدم مخالفة الفعل والقول؛ والإيمان الراسخ بما بين أيديهم من الرسالة حتى يكاد طُهرهم ونقاؤهم الباطني ينتزعان الاعتراف بصدقهم، فقد كان سيدنا محمد ﷺ يُدعَى الأمين قبل الرسالة لِصدقه وأمانته، ولهذا قال هرقل ملك الروم: ﴿**لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ**﴾، ولذلك لا يتمارى الذين يتبعون النبي بأنه صادق، في كل ما يقول، حتى لو كان ما يقوله خارج نطاق إدراك الحواس البشرية، وهؤلاء لا يحتاجون إلى دليل أكثر من شخصية الرسول، ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾.

ونجزم أنه لا أحد منذ نشأة البشرية حفظ لنا التاريخ من أخباره وآثاره ومآثره ما حفظ لنا عن رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى كان كأنما يعيش في غرفة زجاجية يطلع الناس على دقيق تفاصيلها. فلم يترك الرُّواة حركة من حركاته أو سكنة من سكناته أو نفَسا من أنفاسه إلا نقلوه، وكأن الله سبحانه وتعالى لمَّا جعله آخر الأنبياء جعل سيرته تخلُد؛ وآثاره تبقى، فكان هذا النبي مرآة انعكست فيها صورة أخلاق الأنبياء، ومثالا جمع كل الخصال وأشتات المكارم وأنواع المعارف، وهو ما يتجلى في كتب السيرة بوضوح، وفي معرض السيرة النبوية الذي تُشرف عليه رابطة العالم الإسلامي بقيادة معالي الشيخ الدكتور محمد عبد الكريم العيسى.

وعلى تفنن واصفه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصفِ

ثانيا: أن تصديق الرسول في رسالته قد يكون ناشئا **عن أمور غيبية أخبر بها، سواء كانت أخبارا في الزمن الغابر مما لم يكن معروفا للنبي ولا لقومه، كما في ذكر هامان، ولم يكن معروفا حتى لأهل الكتاب، وقد يكون عن خبر مستقبلي، ثم يظهر صدق**

ذلك خبر بتحقّقه في الواقع، فيكون ذلك دليلا على صدق من أخبر به فيما سواه، كما في قصة هزيمة الروم على يد فارس، وإخبار الوحي بأن الروم سَيَغلِبون فارس قبل نهاية عقد من الزمن وأن ذلك وعد من الله، فكان الأمر على ما وُصِف، » ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾.

وهذا النوع كثير وهو أخص صفات النبوة، فهي وعود صريحة وواضحة ومؤكدة بل في بعض الأحيان محددة، وليست تكهنات مبنية على حساب ولا تخمين، ولا يمكن أن تصدر من تلقاء بشر، ولا تزال البشرية في كل عصر تكتشف مسائل أخبر عنها الوحي من عالم الغيب. وفي هذا العصر استوقفتني آيتان كلاهما تتعلق بالأرض، الأولى حول استهلاك المعادن وموارد الأرض بشكل غير مسبوق، والذي عبر عنه الحديث الصحيح، «تَقِيءُ الأرْضُ أفْلاذَ كَبِدِها»، وهي عبارة مشحونة بالمعاني، أترون أن الأرض إذا ألقت ما فيها هل تبقى لها غاية، والثاني الأثر الوارد عن الإمام مالك «أنه بلغه أنه في آخر الزمان يشتد حرّ الأرض (وفي رواية حر الشمس)»، هذه فقط إشارات لليقظة الإيمانية ولا تعني التوقف عن البحث العلمي أو مكافحة حر الأرض والتغير المناخي كما في مؤتمر (كوب 28 COP 28).

ثالثا: قد يكون التصديق ناشئاً عما يجري على يدي الرسول من خارقٍ مقرون بالتحدّي والدَّعْوى، وتُسمَّى هذه **الخوارق** في اصطلاح القرآن الكريم (الآيات)؛ لأنها علامات على صِدق الأنبياء، وأطلق عليها فيما بعد في اصطلاح أهل علم الكلام **اسم** (المُعجزات)، وهي خوارق لمجرى العادة من القوانين الطبيعية لا لحكم العقل الذي لا ينخرم، ووجه دلالة المعجزة على صدق النبوة، أنها بمثابة تصديق خالق الكون لدعوى الرسول للرسالة بإذنه للكون بالانفعال له، فهي أمارة وعلامة على موافقة مِلك الخلْق على ما يقوله الرسول.

وقد ذكر القرآن الكريم كثيراً من الخوارق والمعجزات التي وقعت للأنبياء كانقلاب العصا لسيدنا موسى عليه السلام وإحياء الموتى لسيدنا عيسى عليه السلام، وقد وقع للنبي صلى الله عليه وسلم الكثير من المعجزات، منها انشقاق القمر وحنين الجذع وتسبيح الحصى وكلام الحجر وانقياد الشجر..

فـي معجـزات كثـرت أن تحصى ❋ ذكرت منها البعض دون اسـتقصا
إن انفعـال الكـون للرسـول ❋ هـو دليـل أيمـا دليـل
بـإلاذن مـن مالكـه العظيـم ❋ للخاتـم المطهـر الكريـم

رابعا: وقد يكون التصديق ناشئاً عن **دعاءٍ من الرسول نفسه** لهداية قوم «اللَّهمَّ اهدِ دَوْسًا وائتِ بهم» أو عن أشياء ذوقية كإطلالة وجهه الكريم صلى الله عليه وسلم» ليس بوَجْهِ كَذَّابٍ » أو عن معرفة أوصافه المذكورة في كتب الأولين كما وقع لسيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه.

إنها أدلة كثيرة حصل بمجموعها تواتر لا يمكن دفعه، وعلى الأخص لمن هُدي إلى اتباعه.

وهناك بالنسبة للنبي الخاتم معجزته الخالدة، ألا وهي القرآن الكريم.

خامسا: يوجد وجه آخر وهو **مضمون الرسالة**، فرسائل الأنبياء جاءت دعوة إلى الخير والبر وصون الكليات الخمس، فأهل العقول والحكمة يستحسنون ذلك ويميلون إليه، ومن ذلك **سؤال النجاشي للصحابة** حين قدموا الحبشة فقال «وما يأمركم به؟ وما ينهاكم عنه؟. قالوا: يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم، ويأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له». وكذلك **حديث وفد قريش مع هرقل ملك الروم** فقد سأل ماذا يأمركم؟ قال أبو سفيان قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة». وهذا مصداق آيات كثيرة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فالرسالة هي الدعوى وهي الحجة، وهي الدال والمدلول.

وقفة رابعة وأخيرة مع الأدلة الموهومة:

يرفع بعض المعاصرين قراءة آلية للعالم، يدّعي أصحابها عدم وجود معنى للكون، وأن ذرّات تجمّعت بلا هادٍ ومن تلقاء نفسِها، فشكّلت هذا الكون البديع في كل تفاصيله الدقيقة البديعة، ذرات تجمعت فصارت أحداقا ومُقلا تبصر، أو صارت آذانا تسمع، وهكذا من أصغر الموجودات من الذرات إلى أكبرها من أجرام السّماوات كالكواكب والمجرات، كل ذلك وفق مقادير غاية في الدقة لو اختل منها مقدار واحد لانخرم نظام الكون وابتلعه الفساد. بل هو تقدير عليم حكيم، يتجلى

صنعه في التصميم الحكيم للكون، وهي الترجمة الأنسب والأوفق، وإن لم تكن الحرفية، للمصطلح الأجنبي «Le dessein intelligent».

إن أنصار المذهب الآلي يتشبثون بمفاهيم هُلامية كالصدفة والطّفرة العشواء أو الطبيعة والانتقاء وهي **مفاهيم لا تتسم بمعايير العلمية وأهمها الانبناء على الملاحظة،**

فروا من الغيبِ فجاؤا غيباً ❋ أهمل عينه فصار عيبا

في مقابل هذه الرؤية العدمية لا بد من ترميم واستثمار الآليات التي ارتضتها الإنسانية جمعاء وخدمت في الماضي ويمكن أن تخدم في الحاضر والمستقبل، كمبدأ السببية causation / causality ومبدأ الغائية finalité / teleology أو العناية عند ابن رشد أو الأقيسة المنطقية، وهي مباديء قرآنية عبر عنها العلماء بعناوين جديدة كما عبروا في أصول الفقه بعناوين شتى ولم ير السلف بذلك بأساً بل رأوها من الوسائل الخادمة التي يزكيها المقصد ويستدعيها الزمان.

السببية المقصودة هنا هي ما نسميه **(السببية الكبرى)** أو ما يعبر عنه الفلاسفة بالعلة الأولى أو المحرك الأول. وتشير إلى أن العدم الذي معناه اللاوجود الخالي من القوى والخصائص والإمكانات لا يمكن أن ينشئ الكون بدون مكوّن.

وما نعنيه بالسببية الكبرى يقابل ما يمكن أن نسميه بالسببية الصغرى وهي تأثير الأسباب في إطار حركة المخلوقات طبقاً للمبدأ السابق، وفقاً للقوانين الكونية الداخلية، وهذه السببية الصغرى هي التي ينفيها الأشاعرة بحجة قريبة مما يقوله ديفيد هيوم من أنّ ما يظنه الناس أسباباً هو نوع من الاقتران وليس نوعاً من التأثير. **لكن الفارق أن الأشاعرة ينفونها اعتماداً على وجود السببية الكبرى الخالقية التي تؤثر في كل شيء فلا أسباب غيرها.** ويرى الماتُرِيديّة، بلهَ المعتزلةَ، أن وجود قوانين ثابتة تقتضي تأثير الأسباب على المسببات بخلقٍ سابق من الله سبحانه وتعالى في قوانين سارية في الكون لا تتوقف إلا بأمر من الخالق كما في قصة إبراهيم عليه السلام الواردة في القرآن الكريم وأبي مسلم الخولاني رضي الله عنه وهي قصة صحيحة مشهورة كما في صحيح ابن حبان وفي دلائل النبوة للبيهقي وغيره.

4. تذكير ببعض ثمار الإيمان

إن أول ثمار الإيمان وأعظمَها هي السّعادةُ الأخروية بتنعيم الأرواح في القبور والأجساد يومَ النشور بالنزول في دار الأفراح والسرور، حيث النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول.

ومن ثمار الإيمان أيضا، أنه به يرتقي الإنسان في إنسانيته، اتّصافا وتحقُّقا، بالكمالات الإنسانية، من صحة الاعتقاد، وحسن معاشرة العباد، وتزكية النفس وتهذيب غرائزها، فبالإيمان يهتدي الإنسان إلى فعل الخير وينقاد إلى الخير باطناً وظاهراً.

كما أن من ثمار الإيمان الحياة الطيبة، قال تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ والحياة الطيبة هي السّعادة والطمأنينة ويمكن أن نعبر عنها بالمصطلح المعاصر «جودة الحياة».

إن قيمة الإيمان تؤدّي إلى الاطمئنان، فيكون الإنسان مطمئناً إلى **رؤية لهذا الكون العجيب والكوكب الفريد الذي يعيش عليه، رؤية تجيب عن سؤال من أين أتيتُ وإلى أين أصيرُ؟ وممّ خلقتُ ولم خلقتُ؟ تجيب على سؤال الأخلاق بربطها بالجزاء الأخروي فلا تستوي الحسنة والسيئة ولذلك فهو يقيم في النفس وازعاً وفي الضمير رادعاً**، فكلّ أخلاق لم تستنبت في أرض الإيمان، ولم تسق بسحب الوحي الفياضة بالإحسان، تظلُّ معرّضة لزعازع الهوى، ضعيفة التّأثير، تتلاشى أمام الأزمات، وهذا ما تفتقر إليه النظريات الفلسفية الأخلاقية، كالتي في النظام الكانتي، حيث لا جزاء، فلا المجرم معاقب ولا المحسن مثاب إذا لم تنله يد القانون، فيستوي في هذا النظام البارُّ بوالدَيْه والعاقّ لهما، والمحسن على جاره والمسيء.

أما الأخلاق الإيمانية فتعزّز السلام مع العالم في دوائر متصلة، مع النّفس والوالدين ومع الأقربين، والجيران والناس أجمعين، «**والمؤمنُ من أمنَهُ النَّاسُ علَى دمائِهم وأموالِهم**». فمجتمع الإيمان مجتمع آمن، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ مجتمع يُمتَثل فيه للحقوق، وتؤدّى فيه الواجبات طواعية: «الذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»، فالإيمان بالله والجزاء الآخروي يجعل الإنسان أكثر شفقة على الناس ورحمة بهم وأقل عدوانية وظلما، وأكثر مسئولية في علاقته مع الناس والمخلوقات ومع البيئة من حوله.

إن الإيمان يربط الإنسان بالكون من حوله في سلسلة علائق متكاملة، تمنح صاحبها ثباتا نفسيا، وتقيه من الضياع والتشتت، وتعيد انتماءه إلى العالم، إلى الكون الذي تشترك فيه البشرية بالوجود والوجدان، وهذا الذي تشير إليه الآيات: ﴿**مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ و﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾،

وكما في الحديث الشريف «يا أيُّها النَّاسُ، ألَا إنَّ ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، ألَا لا فَضْلَ لِعَربيٍّ على أعجَميٍّ، ولا لعَجَميٍّ على عرَبيٍّ، ولا أحمَرَ على أسوَدَ، ولا أسوَدَ على أحمَرَ إلَّا بالتَّقْوى».

ومن ثمار الرؤية الإيمانية أنها تفتح آذان الإنسان ليسمع أصوات الكون الناطقة بحقائقه من حولنا، وترفع الغشاوة عن البصيرة لتدرك الإشارات البينات التي تدله من ذاته على ذاته.

الصمت المطبق للكون، إنما هو شعور الإنسان المحجوب بالغمرة والسمود عن فهم لغة الآيات، التي استنطقها ذاتَ يوم ابن عطاء الله السكندري، فنطقت له بأسرارها العجيبة:

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعًا * ونحن قعود ما الذي أنت صانع
أترضى بأن تبقى المخلف بعدهم * صريع الأماني والغرامُ ينازع
وهذا لسان الكون ينطق جهرة * بأن جميع الكائنات قواطع
وألَّا يرى وجه السبيل سوى امرئ * رمى بالسِّوى لم تخدعه المطامع

5 ـ جملة من التوصيات

لقد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «**إن الإيمانَ ليَخلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يَخْلَقُ الثوبُ، فاسأَلوا اللهَ أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم**»، فكيف يكون هذا التجديد؟ وكيف نقوم بهذا التجديد الذي وُعدنا به وأمرنا به. لأن الوعد هو في نفس الوقت أمر ولذلك جاء في الحديث : «**جدِّدوا إيمانَكم**» مع الوعد بقيام مجدد ومجددين يجددون لهذه الأمة دينها في كل قرن.

إنه تجديد على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع، والإنسانية جمعاء، وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم «جَدِّدوا إيمانَكم، قيلَ: يا رسولَ اللهِ، وكيف نُجدِّدُ إيمانَنا؟ قال: أَكثِروا مِن قولِ لا إلهَ إلَّا اللّه»، وفي الحديث الآخر » أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال لأصحابِه: جَدِّدوا الإيمانَ في قلوبِكم، مَن كان على حَرامٍ حوَّلَ منه إلى غيرِه، ومَن أحسَنَ مِن محسِنٍ وقَعَ ثَوابُه على اللهِ، ومَن صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى اللهُ عليه عشْرًا، وملائكتُه عشْرًا، ومَن دعا بدَعَواتٍ ليست بإثمٍ ولا قَطيعةِ رَحِمٍ استُجيبَ له»، وقد روي عن طائفة من الصحابة أنهم كانوا يقولون «تعالوا نؤمن ساعة» و«اجلس بنا نؤمن ساعة».

ولذلك فإنني سأختم هذه الكلمة بجملة من التوصيات تدخل في إطار تجديد هذا الإيمان بالذكر والفكر والفعل:

أولا: البشرية محتاجة إلى تجديد الإيمان من خلال إعادة ربطها بغذاء الأرواح، والإكثار من الذكر الذي هو مفتاح تزكية النفوس؛ كما تفتقر إلى مرشدين ربانيين يحيون وظائف الذكر ويرقون في مدارج السلوك إلى مقامات الزهد والصبر والشكر، فتشرق السرائر وتستقيم الظواهر فتتطهر القلوب من الغلّ والرياء وتتنزّه الألسنة من الغيبة والفحشاء.

ثانيا: تجديد الخطاب الإيماني عن طريق تطوير أساليب البرهنة وطرق العرض واستغلال الإمكانات التي أتاحتها المعارف البشرية الجديدة، وهي في الحقيقة إنما أتاحت ما أشار له القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾. فالآيات في الآفاق هي آيات لا تنقطع، علينا أن نسبر أغوارها كدلائل على العقائد، وهي مجال للتجديد والتجدّد، فستظلّ الآفاق صفحة تسطر فيها الآيات، لنتبين أن هذا الدين وهذا القران ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم هي الحق.

ومن أوجه التجديد الممكنة في الفقه الأكبر، كما أسماه الإمام أبو حنيفة، استثمار ثمرات العقول والعلم الحديث في صياغة العقائد وعرضها عرضا سليما بطرائق الاستدلال المناسبة لإدراك أهل العصر، وألا نجد في أنفسنا حرجا من الاستعانة بالفلسفة، فإن المدارس الفلسفية منها المدارس الصديقة التي يجب أن نستفيد من تجربتها وحاصل تحريراتها، ومنها المدارس التي يمكن أن نسميها خصما ولكن ليس بالضرورة عدوا، وهذه ينبغي محاورتها، فنستفيد من الصديقة ونحاور الأخرى المخالفة أو المنافسة.

فعلينا الانفتاح على شهادة المتخصصين في الفلسفة والعلوم الطبيعية ما لم تعارض نقلا أو تناقض عقلا. فنتعاون مع العلوم التجريبية في رحلة اكتشاف الكون البديع، ونقبل شهادتها في الاثبات ولا نقبل شهادتها في النفي. وذلك ليس فقط من منطلق إيماني فحسب، ولكن من منطلق علمي أيضا لأن العلم إذا شهد بالنفي فقد أعلن التوقف عن البحث العلمي.

ثالثا: إنشاء مراكز للبحوث الإيمانية –والتي في الدائرة الإسلامية يمكن أن تستقطب كل التخصصات من محدثين يقدمون أحاديث الإيمان وما لها من تأويل

ومعنى، وكلاميين يبرزون ما وصلوا إليه من حجاج ونظر، ومن المشتغلين بتزكية النفوس وأحوال القلوب ومقامات الإحسان، ليقدّم كلٌّ أحسن ما عنده في إطار التعاون على الخير- فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ.

في هذه المراكز يتم استنفار مدارس الأمة جميعها من أهل الحديث وأهل تزكية النفوس وأهل علم الكلام، فهم وإن تعدّدت مشاربهم، واختلفت مذاهبهم، فكعبتهم واحدة، وهدفهم متحد، هو تحقّق الإيمان بمقتضياته علماً وعملاً، والاجتهادات البشرية لا يمكن أن تكون متفقة أو متطابقة في مقارباتها ومنهجيتها إلا أنها بالتأكيد مجمعة على هدفها.

وحيث كنا معاً نرمي إلى غرض فحبذا ناضل منا ومنضول

وأصلهم الذي لا يحيدون عنه وانتسابهم الذي لا يقبلون الانتفاء منه هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فلا بد من تقريب الشقة بين مختلف هذه المدارس الباحثة عن الإيمان-حسب الإمكان- والتسامي عن التجريح والتنابز بالألقاب بين أهل البرهان باختلاف مدارسهم وأهل العرفان بتنوّع مشاربهم، وتجاوز كثير مما نحسب أنه كان اختلافات لفظية وعنوانية، أكثرَ منها جوهرية، وننصح بالتوقف عن التكفير والتبديع والتضليل، لأن نتيجة التنازع هي الفشل والتمانع.

رابعاً: أن نجعل عنوان المرحلة ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، من خلال الابتعاد عن الحرب الكلامية، والعنف اللفظي، فقد أصبح العالم بمثابة المعرض العالمي، تُعرض فيه الأفكار كما تعرض السلع وتروّج كما تروّج البضائع (كل حزب بما لديهم فرحون)، والمؤمن بضاعته أحسن بضاعة، وأربح تجارة، فهو يقدم للبشرية الإيمانَ، وهو البضاعة الجيدة التي تطرد البضاعة الرديئة من السوق.

الختام

وختاما، أشكركم على إصغائكم، متمنياً لأعمال هذا المؤتمر التوفيق والنجاح، اللَّهُمَّ إِنَّا نسألك إيماناً صادقاً، ويقيناً ليس بعده كفر، ورحمةً ننالُ بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة، وأخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

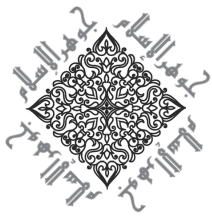

من تجليّات الرحمة في خلق رسول الله ﷺ في السلم والحرب[1]

فضيلة الإمام الأكبر أ.د أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف

إن المتأمل في صفات رسول الله محمد ﷺ؛ يحار فلا يدري بأيها يبدأ ولا بأيها يختم، ولا ماذا يأخذ من هذا الوابل الصيب من صفات الجمال وصفات الجلال، ولا ماذا يدع... وكيف لا! وقد وصف الله سعة أخلاقه الشريفة بوصف العظم، فقال في كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، كما وصفته أخبر الناس به، زوجه السيدة عائشة أم المؤمنين – حين سئلت عن أخلاقه، فقالت: «كان خُلقُه القرآنَ»، مبينا أنها –رضوان الله عليها– قد أدركت الأفق المتعالي لهذا الخلق النبوي، وصعوبة بيانه للناس: عدا وحصرا واستقصاء، فأحالت البيان إلى أخلاق القرآن الكريم، وما بينها وبين أخلاقه –صلوات الله وسلامه عليه– من تطابق وتماثل، وبما يعني أن الخلق القرآني إذا لم تكن له نهاية في حسنه وكماله، فكذلك «الخلق المحمدي» لا نهاية لحسنه وكمالاته، ولا حدود لسعته واستيعابه العالمين بأسرهم.

ان المطابقة بين أخلاق القرآن الكريم وأخلاقه ﷺ هي السر في اختصاص نبي الإسلام برسالة تختلف عن الرسالات السابقة، حيث جاءت رسالة خاتمة للرسالات الإلهية، ورسالة عامة تتسع للعالمين جميعا: إنسا وجنا، وزمانا ومكانا؛ بينما جاءت الرسالات السابقة رسالات محدودة بأقوام بعينهم وفي زمان معين ومكان محدد لا تتجاوزه لمكان آخر.

ان أخلاق محمد ﷺ وإن تنوعت عددا ومنزلة وعلو درجة وكمال شأن، حتى وصف بالإنسان الكامل – فإن صفة من صفاته هذه قد انفردت بالذكر في القرآن الكريم، وهي: صفة «الرحمة» التي وصف بها ﷺ في قوله تعالى في آواخر سورة التوبة، في معرض الامتنان

(1) كلمة فضيلة فضيلة الشيخ احمد الطيب في الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف- القاهرة1445هـ/ 2024.

الإلهي على المؤمنين، حيث بعث فيهم رسولا منهم، وصفه بأنه حريص على هدايتهم، وأنه «رؤوف رحيم» بهم، ثم ذكرت صفة «الرحمة» مرة ثانية في قوله تعالى في أواخر سورة الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وجاءت بأسلوب القصر الذي يدل على أن هذا الرسول اتحد ذاتا وأفعالا بصفة: «الرحمة» حتى صارت سجية راسخة متمكنة في مشاعره، ومتغلغلة في أطوائه، ومسيطرة على تصرفاته.

وأنه ﷺ قد أكد اتصافه بالرحمة بقوله في سنته الشريفة: «إنما أنا رحمة مهداة»، وطبقه في كل تصرفاته مع البشر ومع جميع الكائنات والمخلوقات، وكان ينزع في كل تصرف من تصرفاته من معين هذه «الرحمة» التي فطره الله عليها، وألان بها قلبه، وكان ذلك من أقوى أسباب دخول المشركين في الإسلام: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾، بل إنه كان رحمة للناس حتى في مواطن الحروب والاقتتال والصراعات المسلحة بين الأمم والشعوب.

إنّ أول ما يطالعنا من تجليات الرحمة النبوية في مواطن الحروب والاقتتال هو: أن القتال في شريعة الإسلام لا يباح للمسلمين إلا إذا كان لرد عدوان على حياتهم أو دينهم أو أرضهم أو عرضهم أو مالهم، أو غير ذلك مما يدخل تحت معنى: «العدوان» بمفهومه الواسع، أما القتال نفسه، أو حرب العدو، أو: الصراع المسلح، فله في شريعة الإسلام خطر وأي خطر، وله قواعد وضوابط وتشريعات شرعها الله تعالى!، وطبقها رسوله ﷺ تطبيقا عمليا وهو يقود بنفسه جيوش المسلمين في معاركهم مع أعدائهم، وأمر أمته بالتقيد بها كلما اضطرتهم ظروفهم وألجأتهم إلى مواجهة عدوهم..

وأن أول ما يلفت النظر من قواعد الاقتتال لرد العدوان في الشريعة الإسلامية: قاعدة «العدل»، وهي قاعدة كلية بعيدة الغور في شريعة الإسلام، أمر الله بالالتزام بها في معاملة الصديق والعدو على السواء: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، ثم إن قاعدة العدل هذه تستدعي قاعدة ثانية تلازمها ولا تفارقها في أي تطبيق، وهي قاعدة: «المعاملة بالمثل» والتي تعني أول ما تعني حرمة تجاوز حدود العدل إلى حدود الظلم والعدوان على الغير، يتبين ذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾.

من قواعد الإسلام العامة في القتال التزام مبدأ «الفضيلة» ومبدأ «الإحسان» الذي كتبه الله على كل شيء سواء تعلق هذا الشيء بالإنسان أو بالحيوان، وقد ترجم أمراء المسلمين وقادة جيوشهم، مبدأ «الفضيلة» هذا إلى لوحة شرف في قوانين الحروب، لا يعرف التاريخ لها نظيرا في غير معارك المسلمين، وها هو الخليفة الأول، أبو بكر «رضي الله عنه» يودع قائد جيشه إلى

الشام ويقول له: «أوصيكم بتقوى الله، لا تعصوا، ولا تغلوا، ولا تجبنوا، ولا تهدموا بيعة- أي: كنيسة أو معبدا..»

صورة القتال في الإسلام لا تكتمل بدون الإلمام بصورة «الأسرى» في الحروب الإسلامية، وفقه «الأسير» في الإسلام يدور على أمرين لا ثالث لهما، حددهما القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء﴾، والمن على الأسير هو إطلاق سراحه وتحريره بغير عوض ولا فدية، أما فداؤه فهو تحريره وإطلاق سراحه مقابل فدية يدفعها هو أو تدفع له، والأسير الذي يأسره المسلمون من جيش العدو يحرم على المسلمين قتله، كما تدل الأحكام الفقهية على وجوب إطعام الأسير، ووجوب الإحسان في معاملته، وحمايته من الحر والبرد، وتوفير ما يكفيه من كسوة وملابس، وإزالة كل ما يصيبهم من ضرر، ووجوب «احترام مراكزهم وكرامتهم الشخصية حسب مكانة كل فرد منهم»، مستلهمين في ذلك إلى دعوته ﷺ للرفق بالناس في قوله: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف» وقوله: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم».

«ما أظنني في حاجة بعد ما سمعناه في شأن الحرب في الإسلام، وهو قليل من كثير – إلى عقد مقارنة أو مناظرة بين الحرب في شريعة الإسلام ونموذجها الإنساني الرفيع، وبين الصورة البشعة للحرب الحديثة في القرن الواحد والعشرين، والتي آل أمرها إلى إبادات جماعية ومجازر همجية وجرائم منكرة، ترتكب ضد شعوب مضطهدة تخلى عالمنا القوي المتحضر عن نصرتها، والوقوف إلى جوارها، وصمت صمت القبور عن آلامها وصرخاتها، ثم راح يشمر عن ساعد الجد ليتصدق على هذه الشعوب البائسة بكلمات عزاء فارغة لا تقول شيئا، أو بمشاعر باردة تذكر بمشاعر القاتل الذي يمشي في جنازة قتيله ويتقبل عزاء الناس فيه، فالمقارنة في هذا المقام مضللة ومزيفة لكل نتيجة تنتجها مقدماتها».

«حسبنا أن نعلم من جديد أنه لا يصح في حكم العقل أن نقارن بين الخير والشر، ولا بين الحسن والقبح، ولا بين الفضيلة والرذيلة، ولا بين قانون الغاب والأحراش.

والدرس الذي يجب أن نذكر به مع تجدد ذكرى المولد النبوي هو تجديد وعي هذه الأمة بذاتها وتاريخها العريق المشرف، وقدراتها المادية والروحية، وطاقاتها الخلاقة، وأن تكون على يقين من أنها تملك دواءها إن أرادت، وأن تكون على ذكر دائم من قوله صلى الله عليه وسلم في شأن أمته: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها..»، وأن تبذل قصارى الجهد للتضامن مع أطفال غزة ونسائها وشبابها وشيوخها، ومع شعوبنا في السودان واليمن وغيرها، وأن نعلم أن ذلك ليس منة يمن بها على هذه الشعوب المعذبة في الأرض، وإنما هو واجب القرابة في الدين، وصلة الدم والرحم والمصير المشترك»

المطلب السادس: أدوات النظر الاجتهادي المنشود

الأداة السادسة: مبادئ العلوم الإنسانية المعاصرة ـ ج 2

بقلم الدكتور قطب مصطفى سانو

الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي ـ جدة

فقد كانت صياغة جيل الصحابة لأحكام القضايا الحديثة نابعة من وعيهم على الواقع المعيش، ومعرفتهم بذلك الواقع وبادوائه، ولئن دمجوا بين المعرفة بما اشتهر بعد عصرهم بالمعرفة الدينية (العلوم الشرعية) وبين المعرفة الواقعية (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، فإن الأجيال التي لحقت بهم وخاصة بعد تدوين العلوم والمذاهب في نهاية القرن الثالث الهجري تقريبا بدات تتجه صوب التفريق بين المعرفة المعينة على فهم الواقع، والمعرفة المعينة على فهم النص الشرعي، وأخذت تنظر إليهما على أنهما معرفتان مختلفتان لا يصح الجمع بينهما، ولا النظر إليهما باعتبارهما معرفتين تتكاملان بل يجب أن تنفصلا بعضهما عن بعض..ولقد ازداد هذا الشعور والتوجه ضراما وتمكنا في القرون المتأخرة من نهايات القرن الثامن الهجري إلى قرننا الحالي، ولا تزال الهوة بين المعرفة الدينية النصية والمعرفة الإنسانية الواقعية تزداد وتتعمق يوما بعد يوم في هذا العصر، ولا عجب أن ينتج عن هذا الفصام النكد بين المعرفتين المتداخلتين شرعا لا واقعا انتاج صنفين من علماء الأمة، وهما:

أ-صنف يفقه معاني النصوص وخاصة الأحكام العملية منها، ولكنهم ليس لهم دراية كافية بالواقع الفكري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وليس لهم إلمام كاف بأدواء الواقع، وسبل تطويعه للمراد الالهي على سائر المستويات.

ب-وأما الصنف الآخر، فإنهم صنف يفقهون الواقع الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والحضاري، ولكنهم ليست لهم دراية معتبرة بمعاني نصوص الوحي وبمقاصدها والأهداف العامة منها، مما يجعلهم يتجهون صوب شرق أو غرب للتقنين لهم في سائر قضاياهم الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية.

ونتيجة لهذا التمايز والاختلاف بين الصنفين، فإنه من الانصاف القول بأنه قد غدا كل صنف مسيطر على الدائرة التي يفقهها ويتقنها، فقهاء النصوص متمكنون من النصوص ومستأثرون بتقديم تفسيرها المشروع، ولكنهم مع الاسف عاجزون كل العجز عن تنزيل معاني تلك النصوص في الواقع الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والحضاري بغض النظر عن سائر الأعذار والعلل التي ينسبون اليها عجزهم ذاك.

واما فقهاء الواقع الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والحضاري، فانهم متمكنون من الواقع ومسلّطون على توجيهه وفق مرادهم وخططهم ومآربهم، وليس في الإمكان زعزعتهم عن هذه السيطرة وعن التحكم في الواقع، ولكنهم مع كل ذلك عاجزون عن الاستقلال بالنظر المنهجي لما ينبغي أن يسير عليه نظامهم السياسي والفكري والاقتصادي والاجتماعي، فهم عالة ان على غرب أو على شرق في التنظير والتخطيط الممنهج!

واما الحوار والتشاور بين هذين الصنفين من علماء الأمة، فإنه أمسى في الآونة أمرا محالا في كثير من الأقطار الإسلامية المنكوبة، ومردّ ذلك في تصورنا المتواضع إلى ما يحمله كل صنف عن الآخر من تصور قائم على التشكيك في مبدأ الولاء والبراء من جهة، وعلى الاتهام في الغاية والقصد الذي يروم تحقيقه كل صنف من جهة أخرى، ففقهاء النصوص يرون في فقهاء الواقع أعداء يحولون دونهم ودون الحكم الذي يرون أنفسهم أجدر به، واما فقهاء الواقع، فانهم ينظرون في فقهاء النصوص بانهم زمرة تصبو إلى الاستئثار بالحكم وتبوء المنازل التي يتبوؤنها قهرا وقوة من أجل تحقيق قيومية الدين أو تسديد الحياة بتعاليم الدين السامية، وإنما من أجل تحقيق رغباتهم الشخصية وتعطشهم إلى الحكم والسيطرة!

ومهما يكن من شيء، فإننا نرى انه ليس أي من الصنفين على صواب من القول، ولا على سداد من الرأي، وذلك لاستحداث كل منهما بدعة ما عرفها جيل الرعيل الأول، ولا صدرت عنها ساحة الصحابة وكبار التابعين، بل إن كلا من الصنفين يتحمّل أمام الله يوم القيامة مسؤولية عدم تحقيق قيومية الوحي الالهي على الواقع الإنساني القائم، كما سيتحملون يوم القيامة مسؤولية عدم تسديد الحياة بالتعاليم الإلهية المباركة، ولا اعتبار في تحميل كل صنف لآخر هذه المسؤولية، فهم فيها شركاء على السواء!

وعلى كل، فإننا نخلص إلى القول بأنه من المؤسف اليوم حقا أن يظل هذا الفصام المرير حتى هذه اللحظة قائما بين المعرفة الدينية والمعرفة الواقعية، بل الأمر من ذلك أن يغدو إتقان المعرفة الواقعية مهملة الشأن والتركيز، وان تبعد من دائرة الهمّ المعرفي الإسلامي في هذا العصر، بحيث لا يجد لها المرء حضورا كافيا جليا في مقررات ومناهج التعليم المعتمدة لدى كثير من الجامعات والكليات الإسلامية في العالم الإسلامي، كما أنه في المقابل لا يجد المرء في مناهج ومقررات الجامعات والكليات والمعاهد الموسومة بالجامعات والكليات والمعاهد الوطنية أو العلمانية، وإن تكن ثمة مؤسسة تعليمية عصرية حريّة بأن تعفى من هذه النظرة الثنائية إلى التعليم والتصنيف التجزئي للمعرفة، فإن **الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا** تستحق بأن تعدّ المؤسسة التعليمية الرائدة في هذا المجال[1]

(1) ومن الإنصاف تأكيد هذا القول وتقرير هذه الحقيقة التي لم تنل حظها من الإشادة والتشجيع، فهذه الجامعة معفية من تلك النظرة التجزئية المبتدعة بين المعرفة الدينية والمعرفة الواقعية، وإنما **استحقت الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا** من أن تعفى من هذه النظرة، لأنها خطت-والحق يقال- خطوة جبّارة غير مسبوق اليها في سبيل القضاء المبرم على ذلك الفصام النكد، وذلك عن طريق اعتماد سياسة الدمج بين المعرفة الدينية والمعرفة الواقعية في برامجها ومناهجها التعليمية، وتكاد تكون هذه الجامعة الفتية من أن تكون الجامعة الوحيدة في عالمنا الإسلامي المنكوب التي تعتمد نظام التخصص المزدوج في التعليم الجامعي، إذ أنها تتبنى الزام طلابها الدارسين العلوم الشرعية –المعرفة الدينية- دراسة تخصص فرعي المعرفة الواقعية –المعرفة الإنسانية- وذلك بغية تمكنه من استيعاب المبادئ الأساسية التي تشتملها جميع المعارف الإنسانية من اجتماع وسياسة وفلسفة وتاريخ وعلم نفس، وعلم إنسان الخ...كما أن الجامعة تلزم طلابها الذين يدرسون المعرفة الواقعية العلوم الإنسانية ضرورة التخصص تخصصا فرعيا في المعرفة الدينية بجانب تخصصهم في إحدى فروع المعرفة الواقعية. وبناء على هذه السياسة التعليمية المبتكرة والفريدة، فإن الطالب يتخرج من هذه الجامعة حاملا تخصصين مختلفين: تخصص اساسي إما في المعرفة الدينية أو في المعرفة الواقعية، وتخصص فرعي اما في المعرفة الدينية أو في المعرفة الواقعية، وإذا رغب في صيرورة تخصصه الفرعي تخصصا اساسيا لن يكلف ذلك سوى دراسة بقية مقررات ومتطلبات التخصص الفرعي، وذلك خلال فصلين دراسيين على الأقل، فيتحول ذلك التخصص بالنسبة

ونظرا إلى أن هذه المعرفة الواقعية الإنسانية تهدف في قضاياها الكبرى تقديم تفسير معقول مقبول للظواهر النفسية والفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تطرأ على الواقع الذي يعيش فيه الإنسان، لذلك، فإن هذه المعرفة كانت ولا تزال شديدة الاتصال والارتباط والتكيف مع الواقع الدائب التطوّر والتبدل والتغير والتحوّل، فكلما طرأ تبدل وتحول على الواقع في أي جانب من جوانبه، تبع ذلك حدوث التحول والتبدل في ذاته في هذه المعرفة، ولهذا، فلا غرو أن تتشعب فروع هذه المعرفة وان تتنوع مجالاتها تبعا لتشعب وتنوع الظواهر والنوازل الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تجتاح الواقع وتؤثر في توجهاته وانطلاقاته وهمومه.

إن هذه المواكبة لهذه المعرفة للواقع الإنساني جعلتها أكثر المعارف تحكما وسيطرة على اتجاهات الواقع وهمومه.

وعليه، فليس من عجب اليوم، أن يكون جانب كبير من الآراء والفتاوى الفقهية الاجتهادية الموروثة من نهايات القرن الخامس الهجري إلى قرننا هذا لا يخاطب في كثير من قضاياها ومسائلها هموم الواقع وتحدياته الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، بل انه ليس من المبالغة في شيء أن يكون جانب كبير لا يستهان به من همّ واقعنا الفكري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي لا تغشاه مدوناتنا الفقهية القديمة، ولا يمكن أن يغطيه- بأي حال من الأحوال- الفقه والفهم الذي ورثناه عن أئمة الاجتهاد-رحمهم الله- حول بعض معاني نصوص الوحي كتابا وسنة، ويمكن المرء أن يلاحظ هذا الفصام بين تحديات الواقع وبين الافهام الموروثة التي لم تجابه هذه الظروف الاستثنائية والتحدّيات المعقدة التي تمرّ بها أمتنا الإسلامية على جميع مستويات الحياة، وعلى الأخص بعد أن غزتنا «..الحضارة الغربية في القرنين الاخيرين وأحدثت في واقعنا صورا جديدة ما تزال تتكثف كلما تسارع عصر النهضة، وكلما تعقد المجتمع، وتطور..»[1]

وبناء على هذا، فإننا نرى اليوم، أنه ليس ثمة عذر-أي عذر- في إبعاد هذه المعرفة عن دائرة الهم المعرفي الإسلامي المعاصر، بل لا تحقيق لقيومية الدين، ولا أمل في

له تخصصا اساسيا، لأنه حامل من حيث الأصل المبادئ والأسس العامة في تخصصه الفرعي، ويحتاج فقط إلى تكملة المشوار. وعليه، فإن هذه الخطوة المباركة التي تتبعها الجامعة الإسلامية بماليزيا في التخلص من الفصام النكد الذي أوجدته عصور التقليد والتبعية تستحق كل الدعم والمتابعة، ويؤمل أن ياتي ذلك اليوم الذي سيزول فيه ذلك الفصام، فيعود فقيه النص، فقيه الواقع والنص معا، وينقلب فيه فقيه الواقع، فقيه النص والواقع معا.

(1) انظر قضايا التجديد للترابي –مرجع سابق- 174 باختصار

تسديد الحياة بتعاليم الدين، ما لم يتمكن المتصدّي للنظر الاجتهادي من هذه المعرفة ومواكبة تطوراتها والاشراف على مهماتها وقضاياها الأساسية.

وأيا ما كان الأمر، فإن سنة التطور والتغير التي تقتحم الواقع، والتي تهيمن عليه تحتّم على المتطلع إلى التصدي للنظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر الالمام الكافي بتركيبات الواقع المعيش وادوائه ومشكلاته ضمانا لحسن تنزيل المعاني المرادة للشارع في واقع الأرض، وسعيا إلى تطويع الواقع في جوانبه المختلفة للمراد الالهي، وتفعيله بالغايات والأهداف السامية المقصودة للشارع الكريم. وليس من ريب انه من المتعذّر ان لم يكن من المستحيل أن يتأتى ذلك للمرء ما لم ينل حظه من المعرفة بالمبادئ الاساسية التي تقوم عليها هذه المعرفة بفروعها المتعددة، من نفس واجتماع وسياسة واقتصاد وتاريخ وقانون...

وهكذا تتبدى لنا أهمية وضرورة هذه المعرفة في منظومة النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر بوصفها المعرفة القديرة على الاستجابة عن تحدّيات ونوازل الواقع المعيش المتشعبة والمتنوعة، وبوصفها أهم معرفة مشتملة على الادوات المعينة على ضمان حسن تنزيل معاني الوحي السامية على الواقع.

وعليه، فلنا أمل أكيد في أن تولي الجامعات والمعاهد والكليات الإسلامية المختلفة في أرجاء المعمورة هذه المعرفة الإنسانية الاهتمام ذاته الذي توليه تلك المؤسسات التعليمية بالمعرفة الدينية، إذ انه لا تمام للمعرفة الدينية ما لم تسدّد بهذه المعرفة كما لا فائدة من هذه المعرفة ما لم تسترشد بالمعرفة الدينية.

وأيا ما كان الامر، فإننا نود أن نشير في هذا المقام إلى انه من الوارد حتما أن ثلة من الناس سيعتبرون الاعتداد بهذه الاداة المذكورة أداة ضرورية أمرا مؤديا إلى استصعاب ممارسة النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر، بل ربما وقف هذا الاعتداد بهذه المعرفة عائقا أمام تحقيق هذا النظر في أرض الواقع، وذلك لأنه من المتعذّر، بل ان لم يكن من المستحيل، عند كثير من الناس امكانية تمكن المتأهل للنظر الاجتهادي من هذه المعرفة ومن المعرفة الدينية معا، لأن تحقيق ذينكما الأمرين يتطلب مزيدا من الوقت والجهد الكبيرين لا يمكن توافرهما للمرء في أكثر الاحيان. وبناء على ذلك، فإن كثيرا من الناس سيعتبرون ما ذكرناه انه لا يعدو أن يكون تعسيرا وتعقيدا من شان النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر!

إننا إلى القول بان هذا الافتراض والتساؤل من الممكن أن يكون جديرا بالاهتمام والتقدير فيما لو كانت منزلة المجتهد في المنظور الإسلامي منزلة عادية غير مهمة في

حياة المجتمع. ولذلك، فنظرا إلى أن منزلة المجتهد والنظر الاجتهادي في المنظور الإسلامي تعتبر من ارفع المنازل وأعلى المراتب واسماها، لذلك، فإن التأهل لها والتبوأ عليها يتطلب توافر خصائص معرفية وعلمية وخلقية في الفرد والجماعة.

ولهذا، فإن الاعتداد بهذه المعرفة وبالمعارف السابقة أدوات ضرورية للنظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر، يروم القضاء على الاستهانة أو الاستخفاف بهذه المنزلة من جهة، كما يهدف إلى تجلية ما ران من ركام على حمى هذا النظر الاجتهادي في خلد كثير من الناس، حتى غدا الناس في النظر إلى امكانية التاهل له بين معتقدين باستحالة ذلك في هذا العصر واعتبارهم ذلك معجزة خارقة للعادة، وبين معتقدين بامكانية ممارسته من كل أحد دون قيود ولا شروط ولا ضوابط. ولا يخفى أن كلا من هذين الاتجاهين يقف على طرف منبوذ، وديننا يأمرنا بالابتعاد عن الطرف يمينا كان أو شمالا، بل إنما يجب أن نكون دائما في الوسط، مصداقا لقوله جلّ جلاله»**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**» البقرة: 2/ 143 فالامة الوسط شاهدة ومنتصرة على الطرف الذي يعيش في أقصى اليمين، لإنه إن عاجلا أو آجلا فسوف ينهار، وعلى الطرف الذي يعيش في أقصى اليسار، لأنه هو الآخر ان عاجلا أو آجلا فسوف يزول!

وعلى العموم، تجنبا من أن تضحي ساحة النظر الاجتهادي مرتعا يعشش فيه بعض العوام، واشباه المتعلمين، أو تغدو ساحته حصنا حصينا مصونا لا يمكن أن يلجه احد ولا أن يتاهل له إنسان قط، فإن ما ذكرناه كفيل على القضاء على كلا الاتجاهين إن يمينا أو يسارا. ولئن كان من الأمر المعلوم أن علم الطب- على سبيل- المثال من العلوم الكسبية العويصة والصعبة، ويتطلب التمكن منه والاشراف على مسارحه زمنا ليس قصيرا، وجهدا غير مهين، ومع ذلك، فإن عددا من الأفراد الذين يحسون في أنفسهم المقدرة والصبر والجلد، يتمكنون من إجادة هذا الفن واتقانه، ولا احد من الناس يرى تحقيق ذلك أمرا محالا أو خارقا للعادة والمالوف، بل ليس ثم امرؤ يقلل من شان هذه المعرفة، ويترك طرق بابها لكل من هب ودب. بل ان القانون لا يتوانى في معاقبة أي امرئ يمارس مهنة الطب قبل حيازة مؤهلاتها ومتطلباتها.

وعليه، فلئن كان القانون لا يتهاون في محاكمة ومعاقبة اي فرد يمارس مهنة عامة كالطب وغيره من المهن التي لها مساس مباشر بحياة العامة والخاصة الخ.. قبل اشرافه على الادوات المؤهلة لتلك المهنة، فما احرى القانون ذاته، أن يعاقب ويحاكم

اي فرد يمارس النظر الاجتهادي قبل التأهل له والتمكن من ادواته الضرورية، إذ أن النظر الاجتهادي بوصفه موجّه الجانب الروحي من حياة الافراد والجماعة، شأن له مساس مباشر بحياة العامة والخاصة، واي خلل فيه يوازي الخلل في الجانب المادي للحياة العامة والخاصة، ولذلك، فإننا نرى انه لا فرق بتاتا بين متطبّب لا علم له بالطب، وبين مدّع النظر الاجتهادي غير المتاهل له بتاتا، فالاول خطروجرثومة على أبدان العامة والخاصة، واما الثاني، فإنه هو الآخر وبال اي وبال على أديان العامة والخاصة. ولذلك، فما احرى القانون أن يعاقب أدعياء النظر الاجتهادي في كل عصر، كا يعاقب أدعياء الطب في كل مصر وعصر. وبناء على هذا، فلا حاجة إلى الاستغراب من اعتدادنا بهذه الاداة ضمن أدوات النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر ولا يضير أن يكون هذا البحث بدعا في ذلك.

وإذ الأمر كذلك، فإنه حريّ بنا الإشارة إلى القدر الذي ينبغي أن يتزود به جامع آلات الاجتهاد الثلاث من هذه الأداة العلوم الإنسانية المعاصرة والذي لا يتجاوز في نظرنا إلمامه وإشرافه على المبادئ والمداخل الاساسية التي تقوم عليها تلكم العلوم بحيث يصبح المرء بعد إدراكها قادرا على حسن فهم واقعه بشكل عام، وعلى إدراك ما تلعبه الظروف والبيئات من تاثير على المعارف والمناهج والأفهام، إضافة إلى تمكنه من الإحاطة بالوسائل المناسبة لتفعيل واقعه بتعاليم الوحي والزاماته السامية الهادفة.

وصفوة القول – هكذا يتبدى لنا من خلال هذه الدراسة- أن التأهل للنظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر والهادف إلى تحقيق قيومية الدين وتسديد الحياة بتعاليم الدين السامية، ليس شانا هينا، ولا شأنا بعيد المنال، ناهيك أن يكون أمرا مستحيلا. بل إن التأمل فيما طرحناه من ضبط للقدر المطلوب اتقانه من تلك الادوات، يجد المرء أن الإشراف على تلك الادوات ليس مستحيلا كما يعتقد البعض، وإنما يحتاج الأمر إلى إعادة النظر في النظم التعليمية المعاصرة المطبّقة في كثير من الجامعات الإسلامية والكليات الشرعية والمعاهد الدينية في أرجاء العالم الإسلامي، بحيث تغدو تلك النظم، نظما ذات أهداف علمية وتربوية واضحة، تقوم على أداء رسالة واضحة المعالم والمبادئ، وتهدف في أساسها إلى تخريج جيل من المثقفين حاصلين على الاقل على الدرجة الوسطى في جميع فروع العلم الشرعي من لغة واصول وحديث وعلم خلاف وعلم مقاصد الخ...فسياسة الفصل بين فروع

العلم الشرعي من حديث ولغة وأصول وعقيدة وغيرها، سياسة بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في مرماها وغاياتها ومقاصدها ومآلاتها. ويكفي هذه السياسة انها تمكنت من تخرج جيل من مثقفين في فرع من فروع العلم الشرعي إن حديثا أو اصولا أو لغة أو عقيدة، كما تمكنت من إعداد جيل من المثقفين ذوي النظرات التجزئية الاحادية الحادة في سائر القضايا والمسائل، ولذلك، لا ضير أن تغدو أفهام البشر لدى ذلك الجيل نصوصا مقدسة بجانب نصوص الكتاب والسنة، ولا عجب أن ينظر ذلك الجيل إلى الحديث، اي حديث في مراجعة اي من فروع العلم الشرعي، كانه حديث في ذات الدين الالهي ونصوصه المقدسة الطاهرة، بل إن الهمّ يتجاوز منهجيات تلك المعارف وادوائها يقود صاحبه إلى نيل نصيب وفير من التهم والمكائد الصادرة عمن كان يؤمل فيهم أن يكونوا أدرى الناس بالفرق بين نصوص الوحي الثابتة، وبين أفهام البشر المتغيرة والمتأثرة بظروف تشكلها وتكوينها!

واما سياسة الفصل بين العلم الشرعي وما يعرف اليوم بالعلوم الإنسانية هي الاخرى بمسيس الحاجة إلى إعادة النظر في هذا العصر، وذلك قصد التجاوز بالعقل المسلم من النظرة الاحادية العليلة التي لا تخلو أن تصدر عن حسن فهم لمعاني النصوص مع جهل مطبق ومضر بمحل تنزيل تلك المعاني وهو المجتمع والواقع المعيش، أو تصدر عن حسن فهم لمحلّ تنزيل المعاني مع جهل عميق بمعاني النصوص ومقاصدها وغاياتها السامية.

إننا نودّ – قبل أن نكرّ على نهاية هذه الدراسة- أن نؤكد على أن الادوات المؤهلة للنظر الاجتهادي التي اوسعناها جانب التفصيل والتأصيل، لا تروم تشجيع النظر الاجتهادي الفردي بأي حال من الأحوال في سائر القضايا والنوازل التي تجتاح حياة الفرد والجماعة، بل إن الدراسة هدفت في جملتها إلى تحقيق القول في الأدوات المؤهلة للنظر الاجتهادي الفردي والجماعي في آن واحد، وذلك باعتبار أن الاجتهاد الجماعي اجتهاد يمارسه عدد من الأفراد الذين تمكنوا من الادوات المؤهلة للنظر الاجتهادي، وبالتالي، فإن ما أوردناه من حديث ينصب في هذا المضمار ولا يهدف إلى تكرار الدعوة إلى إحياء الاجتهاد الفردي على حساب الاجتهاد الجماعي.

وعليه، فإن النظر الاجتهادي المنشود سواء أكان فرديا أم جماعيا، فإنه لا بدّ لممارسيه من أن يتمكنوا من الأدوات المشار اليها، ولا بُدّ من الاستيعاب الشامل لذلك القدر الذي أوسعناه جانب التفصيل والتأصيل، فدونها لا يمكن أن يحقّق النظر الاجتهادي الفردي أو الجماعي غايتيه اللتين أصلنا فيهما القول من قبل.

كيف نربي أبناءنا ؟

بقلم الشيخ محمد غميض رحمه الله

بمناسبة فتح مدارسنا بعد انقضاء العطلة رايت أن اذكر كلمة هي كيفية تربية ابنائنا الروحيين وغيرهم لأذكر بها نفسي وكافة المربين«**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**»

ايها المربي يكفينا أن نعير الوجود لفتة لنرى احتياج الإنسان إلى التربية وبث الأخلاق الحميدة فإن الولد يولد صغيرا مجردا عن كل المميزات فكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية وبالغذاء فكذلك النفس تخلق قابلة للكمال لذا صار واجبا علينا وجوبا عينيا العناية بتربية اولادنا وتهذيب أخلاقهم لأنهم رجال الغد وامهات المستقبل وتغذيتهم بالعلم والروح الإسلامية وتدريبهم على عمل يقومون به في حياتهم.

إلا انه لا يمكن أن يوكل أمر تربية الأبناء إلى أنفسهم أو يترك لاختيارهم ما يرونه وسيلة لعيشهم فان ذلك يستدعي خبرة واسعة وممارسة طويلة لا يستطيعون اكتسابها في وجيز عمرهم، فالواجب علينا كأساتذة ومعلمين أن نهيء أبناءنا على الدين الإسلامي القويم وأن نعلمهم الاداب الدينية ونعودهم العادات الإسلامية ونرسخ في قلوبهم حبّ الأخلاق المحمدية والسنة النبوية لأنهم في المستقبل هم القادة والرجال الابطال وهم معقد الرجاء والامال بهم تحيا الشعائر الدينية إن هذبناهم تهذيبا صالحا وربيناهم تربية إسلامية صحيحة.

هذا وإن الطفل أمانة في عنق من تولى أمره أبا كان أو أمّا أو معلما، فإن شاءوا حفظوها بالتربية الصحيحة الصالحة وتعهدوها بالتعاليم الطيبة الراجحة وان شاءوا ضيعوها بالتربية الفاسدة

والتربية الدينية في هذا العصر أوكد والزم للبنات حتى ينشان على حب الفضيلة وأكمل الصفات وفعل المعروف والحسنات واجتناب المنهيات لأنهن عماد الامة

الذي عليه تعتمد وهن سندها الذي عليه تستند، هن في المستقبل الامهات المربيات، وهن الواعظات المرشدات المؤثرات. فلا سعادة منزلية إلا بهن وبهن تحبب الفضائل الدينية متى نشأن نشأة كاملة وتربين تربية إسلامية صحيحة فاضلة.

إلا أن للتربية والتعليم اصول يجب معرفتها ولا يبان في هذا أوضح وأجمل في الاعين وأقرب للفهم مما جاء في كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي رحمه الله تعالى أذكركم ما به الحاجة «**ان الصبي أمانة لدى والديه ومعلميه وقلبه الطاهر جوهرة نقية خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش مائل إلى كل ما يوجه إليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعدت حاله في الدنيا والاخرة وشاركه ابواه في الثواب وكل معلم ومرب له, وان عود الشر واهمل نشأ سيء الأخلاق خبيث النفس فاقد الهمة ساقط المروءة محبا للشر كارها للخير عالة على اهله وعشيرته وشقاء على نفسه وبلاء على وطنه وعلى الناس أجمعين**»

ان تربية الاولاد في صغرهم على مبادئ الدين الحنيف وتعويدهم على مكارم الأخلاق لمن اهم المسائل التي يجب على الاباء وعلينا نحن معشر المدرسين أن ننتبه لها وان نعمل أن عليها تدور حياة الامة في مستقبلها وعليها يتوقف رقيها في مدارج الرفعة والكمال, فما الامم إلا بالأخلاق وما الأخلاق إلا بالتربية الدينية الصحيحة كما يجب علينا أن ننبت في عقول ابنائنا العقائد الدينية التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر والفحشاء وان نعودهم المحافظة على الامانة والصدق في القول والاخلاص في العمل ونحرم عليهم الكذب ونمنع عليهم الحلف رأسا صدقا كان أم كذبا ونعلمهم اداب المحادثة.

أيها المدرسون : يجب علينا جميعا الاخلاص في مهمتنا بان نقصد بالتدريس وجه الله الكريم لا ما نتقاضاه مشاهرة ولا شكر الناس وان نجتهد في تهذيب عقول أبنائنا الروحيين الذين هم امانة معلقة برقابنا مسؤولون عنها أمام الله قال صلى الله عليه وسلم «**ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسال الرجل عن أهل بيته**» والا نرى أن ذلك منة عليهم بل المنة لله سبحانه وتعالى الذي علمنا واقدرنا على التعليم.

فإذا عملنا بهذا كله ننجح ويبارك الله لنا في صحتنا وولدنا وفي جميع أعمالنا وينجح التلميذ المتعلم فيما اخذه منا بإخلاص، فيجب علينا كمدرسين أن نطالع كتاب **الاحياء للامام الغزالي** فقد شرح لنا قواعد التربية ووضحها وضوحا شافيا كافيا. ووضع لها منهاجا وبين لنا كيف نستخدمه، لقد اهتم اهتماما عظيما بالمدرسين الذين يقومون على افضل واشرف صناعة هي التصرف في قلوب البشر، والبشر

أفضل واشرف ما خلق الله واشرف ما في البشر القلب والعقل وهما موضع تعليم المدرس عاملا بمقتضى ما علمه الله ليكون قدوة لتلاميذه. وان يكون محبا لتلاميذه مشفقا عليهم بحيث ينزلهم بمنزلة بنيه والا يبخل عليهم بعلمه ولا يترك من نصحه شيئا إلا بذله لهم. وان ينزل إلى مستواهم بحيث يخاطبهم على قدر عقولهم بلفظ بين واضح جلي وان لا يشوش عقولهم بمزج وخلط المسائل، وان يزجرهم عن الخلق السيء بطريقة بينة لينة لا بالغلظة والشدة وبطريق الرحمة لا بالضرب والتوبيخ لئلا يتعودوا ذلك وان يمتثل التلميذ لأوامر المدرسين بحيث يقوم بما كلفوه من حفظ وكتابة وجميع ما يتعلق بالمواد التي يدرسها من جميع الفنون وينبغي له اي التلميذ أن يتحمل عقاب مدرسيه.

فلنتق الله في أبنائنا الذين ألقيت الينا مقاليد أمورهم وصارت في ايدينا رعاية شؤونهم فلنهذب أخلاقهم ولنثقف عقولهم ولنعلمهم ما يحتاجونه من امور دينهم ودنياهم ولنغرس في قلوبهم وعقولهم حب الوطن وانه من الايمان وحب الدين الإسلامي وآدابه والعمل باحكامه وشريعته. ولنأمرهم باداء الصلوات ولنحثهم على شهود الجمعة والجماعات لقول ﷺ «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر**» الحديث.

ولنغرس في قلوبهم حب مطالعة السيرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية لما فيها من التربية والاداب والأخلاق السامية وما أحوجنا اليها وقد اصبحت حالتنا الخلقية من أشدّ أمراضنا الاجتماعية وأن نرجع إلى سيرة العظماء من رجالنا وعلى رأسهم صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام أولئك الذين هداهم الله وهدى بهم وصدق الله العظيم «**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة**» فإذا فعلنا هذا كله بأبنائنا وأبناء اليتامى فقد قمنا بما اوجبه الله علينا من الحق ونكون قد اعددنا للمستقبل ولدولتنا الفتية التي نعيش في ظلها وتحت رايتها أبناء صالحين وبنات صالحات يرفعن شأن وطنهن والإسلام عاليا ولنعمل على اعلاء ديننا ووطننا ودولتنا والاحتفاظ بشريعة نبينا ولنقتد بسلفنا الصالح ولنخلص في قولنا وعملنا، وكل ما ذكر موقوف على خلوص النية وأختم كلمتي بقوله جلت كلمته «**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**» والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حرره بالقليعة الجزائر في 4 شوال 1388-وفي 24/ 12/ 1968 محمد غميض مدرس بالمدرسة الثانوية بالقليعة

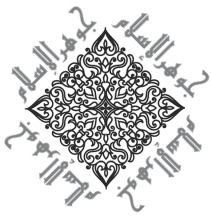

شرط التمكين السياسي

المفكر الهندي وحيد الدين خان

روى سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما واقعة وقعت في العهد المكي فيها أن أشراف قريش اجتمعوا يوما عند الكعبة، فأجمعوا –بعد التشاور فيما بينهم– أن يرسلوا واحداً منهم يستدعي محمداً حتى يتحدثوا إليه ويفاوضوه في أمر دعوته، وقد أجاب النبي ﷺ دعوتهم.

ولما بدأت المفاوضات قال ممثل قريش: «إنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك؛ لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة».

وقد أراد أشراف مكة أن يثنوه عن دعوته فساوموه وأغروه بالمال والملك، وقالوا: «إن كنت تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ...»، «**البداية والنهاية**» (3/ 50).

لم يقبل النبي ﷺ هذا العرض من أشراف مكة، وظل يدعو إلى ربه، رغم أنه لم يكن قد أقام حكومته الإسلامية في المدينة بعد. وهو الأمر الذي يثير تساؤلا عن السبب في عدم استجابته لهذا العرض، وعدم إقامته حكومته الإسلامية من خلال هذا العرض قبل خمسة عشر عاماً في مكة، وإيثاره إقامتها في المدينة بعد مضي هذا الوقت.

والسبب في ذلك أن الحكومة الإسلامية لا تُقَامُ بهذه الطريقة، أي لا يستتب أمرها بمجرد جلوس شخص مسلم على كرسي الحكم؛ إذ ان قيام أي حكومة مقيد

بالمحيط الخارجي والظروف الخارجية. كما أن قيام الحكومة الإسلامية لا يكون إلا في وجود مجتمع يملك وعيا وإرادة داخلية تسعى إلى إقامتها. وفي وجود مجتمع تتوافر فيه كل الأسباب السياسية الضرورية لاستحكام السلطة.

وتلك الأسباب التي ذكرناها لم تكن متوافرة في العهد المكي لذا لم يسع النبي ﷺ وقتها إلى إقامة حكومته في مكة، فلما اجتمعت هذه الأسباب وتوافرت فيما بعد بالمدينة المنورة لم يتردد النبي ﷺ في تنظيم حكومة إسلامية بها.

والفرق بين طبيعة المكانين ومدى استعداد المجتمعين يتضح من معاملتهما النبي ﷺ؛ فبينما واجهت أم جميل زوج أبي لهب النبي بهجاء تغنت به في مكة تقول فيه: **(مذممًا أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا)**.

استقبل أهل المدينة النبي ﷺ ورفيقه الصدِّيق في العام الثالث عشر من البعثة بحفاوة بالغة وقالا لهما: «انطلقا آمنين مطاعين» وردد أطفال المدينة الأناشيد في استقباله ﷺ ومنها: **(أيها المبعوث فينا جئت بالأمر)**.

ويمكن أن نلتمس هذا المثال أيضاً في حياة سيدنا موسى عليه السلام، فقد كان مقدراً لبني إسرائيل أن يُمكَّنوا من السلطة كما مُكنوا منها من قبل، وبعد موته عليه السلام جاهدت بنو إسرائيل العماليق يقودهم يوشع بن نون، فأخضعوهم وأقاموا حكومتهم في الشام وفلسطين، وقد استمرت هذه الحكومة مدة من الزمن.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مهم هو لِمَ أخرت بني اسرائيل استغلال فرصة الحكم التي أتيحت لها قبل نصف قرن في حياة نبيهم، رغم أن الميدان كان خاليا والعرش ممهدا في ممفيس بعد غرق فرعون وجنوده، هذا فضلا عن الرعب الذي أشاعه هلاك فرعون في الناس؛ إذ كان كفيلا بإخضاعهم وإجبارهم على طاعة الحكومة الجديدة. ومع هذا فقد ترك موسى عليه السلام الميدان السياسي، ورحل بقومه إلى صحراء سيناء، وظلوا هناك يعانون شظف العيش وقسوة الحياة لأربعين سنة (1440–1400ق.م) بين فاران وشرق الأردن، حتى مات الشيوخ في الصحراء ولم يبق سوى الشباب الذين نشؤوا في الصحراء وتربوا فيها؟

إن السبب الذي يقف وراء هذا؛ هو أن جيل بني إسرائيل الذي عاش بمصر كان جيلا منحطا غير مؤهل للقيادة؛ حتى أن نبي الله موسى لم يكن يثق وقتها إلا في نفسه وفي أخيه هارون، (سورة المائدة، الآية 25). وهكذا وُضِعت بني إسرائيل في «وادي

التيه» حتى ينتهي الجيل الكبير والمتوسط منهم، وينشأ جيل جديد يتربى في الصحراء يمكن الاعتماد عليه ليستولي على السلطة ويقيم حكومته.

ويتبين من هاتين الواقعتين أن الحكومة لا يمكن أن تُقام إلا عند توافر الظروف الاجتماعية المناسبة، فأما مثال النبي ﷺ فيكشف لنا أن الأوضاع لم تكن مناسبة لإقامة حكومته، ولو أنه تعجل في إقامتها دون تهيئة الظروف الضرورية لانقلبوا عليه ولانتهى حكمه، وما كان ليحصد شيئا مما أراده.

وأما مثال سيدنا موسى عليه السلام فيخبرنا أنه من أجل قيام حكومة جيدة لا بد من وجود فريق مميز قوي الشخصية، لأنه لا يمكن لحكومة أن تقوم أبدا إذا شغر الزمان من هذا الفريق، وسيظل الفراغ السياسي قائما حتى إن وجد الأنبياء المرسلون.

والآن تأمل في هذين المثالين النبويين، وستعلم أن كل الحركات التي نادت بالحكم الإسلامي في عصرنا الحاضر إنما هي نتاج الغفلة والجهل، وأنه لا يمكنها أن تثمر سوى الكوارث والدمار، وتظل الغاية المنشودة بعيدة كل البعد عن التحقق كما هو واقع الآن.

(للمزيد انظر صفحة المؤلف، على الرابط:

في رياض السنة

الأربعون النووية

الحديث الحادي والثلاثون : الزهـــد

بقلم الاستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس».

فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»

حديث حسن رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل أبو العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وقد كان اسمه في الجاهلية حزنا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلا، توفي بالمدينة وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة وقيل إن جابرا رضي الله عنه هو آخر من مات بالمدينة.

روى سهل بن سعد الساعدي مائة وثمانية وثلاثين حديثا انفرد البخاري بأحد عشر.

قال «**جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس**».

هذا الحديث له نظائر وأشباه تبين لنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس ليتلقى تساؤلات أصحابه ورغبتهم الشديدة والماسة في الاستفسار والتعلم ممن بعثه الله معلما عليه الصلاة والسلام حيث كانوا يجدون منه ولديه ما يشفي غليلهم ويطمئن قلوبهم حيث يسألونه بأريحية وتلقائية فهو القريب منهم وهو المتقبل منهم

لكل ما يصدر عنهم مهما كان غريبا عجيبا بل مهما كان فيه من غلظة وعنجهية. فقد كان عليه الصلاة والسلام رؤوفا رحيما حليما يدفع بالتي هي أحسن ويكظم غيضه بل يهون عن من ترتعد فرائصه خوفا وجزعا قائلا «**هون عليك إن أنا إلا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**» كذلك كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وعلم وخير. ومن الأحاديث المشهورة التي تصور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقدم شرحه في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعروف بحديث جبريل.

وحديثنا هذا الذي يرويه سهل بن سعد رضي الله عنه هو مثل حديث جبريل يتعلم منه السائل ويتعلم منه السامع الحاضر في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتعلم منه الأمة التي حفظ لها السلف الصالح من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم هذا الرصيد الهام والعظيم الفائدة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية والإقرارية والتي هي القسم الثاني مما أوحى له الله تبارك وتعالى به لنبيه عليه الصلاة والسلام القائل «**أوتيتُ القرآن ومثله معه**».

إنها طريقة التعليم والتلقين بواسطة السؤال والجواب وهي من أنجع الطرق وأنجحها في التعليم.

جمع هذا الرجل في سؤاله كل ما يبتغيه ويريد أن يعلمه كل مسلم من النبي صلى الله عليه وسلم. لقد توجه هذا السائل إلى صميم الموضوع والى الغاية والهدف في غير استطراد.

«**دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس**».

وفي هذا السؤال إشارة واضحة إلى أن ديننا مبني على العمل وان العبرة بالعمل وانه لا قيمة لأقوال وشعارات لا يتبعها ولا يتلازم معها عمل، هذا العمل الذي دعت إليه آيات الكتاب العزيز «**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**» آية، «**والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**» آية، وبينته وأكدت عليه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إذا أراد الله بعبد خيرا فتح الله عليه باب العمل وأغلق عليه باب الجدل**» حديث، ويقول عليه الصلاة والسلام «**ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل**».

كما يدل هذا الحديث «**دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس**» إن غاية المسلم ومبتغاه هو الوصول إلى درجة الحب أي أن يحبه الله ومن أحبه الله فاز ونجا،

ودرجة الحب هذه تستدعي وتتطلب مجاهدة «**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..**» حديث قدسي ومن أحبه الله حفظه ورعاه وبلغه مبتغاه في الدنيا والآخرة.

وأهل حب الله هم من سبقت لهم من الله الحسنى يقول جل من قائل «**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودا**» ويقول جل من قائل «**سيأتي بقوم يحبهم ويحبونهم**» وإذا أحب الله عبدا من عباده حببه لعباده يقول عليه الصلاة والسلام «**إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض**» يا لها من درجة عالية ومكانة رفيعة يعطيها الله لمن يحبهم. فمنه سبحانه وتعالى الكرم والجود والبداية «**إن الله إذا أحب عبدا**» نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا ممن يحبهم ويحبونه انه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

وكان جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سؤال هذا الرجل على قدر جوابه توجه مباشرة إلى المطلوب والمرغوب والى الهدف والغاية ببلاغة وإيجاز «**ازهد في الدنيا يحبك الله**».

(**والزهد شرعا هو اخذ قدر الضرورة من المال المتيقن الحل**) وقد أورد الشيخ الشبرخيتي عند شرحه لهذا الحديث آثارا كثيرة وجديرة بالإيراد تعميما للفائدة من ذلك.

قول ابن المبارك: «**ترك الدنيا عن قدر**»

وقول الطيبي: «**لا يتصور الزهد ممن ليس له مال ولا جاه**»

وقيل لابن المبارك: «**يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا ففيم زهدت؟**»

وقيل: «**النظر إلى الدنيا بعين الاحتقار فتصغر في عينك ليسهل عليه الاعراض عنها**».

وقيل: «**سلو القلب عن الأسباب ونفض اليد من الأملاك**».

وقيل: «**قصر الأمل واليأس مما في أيدي الناس**».

«**وقال الضحاك انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ازهد الناس قال من لم ينس المقابر والبلى وترك فضول زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد من أيامه غدا وعد نفسه من الموتى**».

وقيل: «**لا تأس على ما فات من الدنيا ولا تفرح بما آتاك منها**»

ويعرف ابن القيم الزهد بأنه «**فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد وهذا زهد العارفين وأعلى منه زهد المقربين وهو الزهد فيما سوى الله من دنيا وجنة وغيره إذ ليس لصاحب هذا الزهد مقصد إلا الوصول إليه تعالى والقرب منه**».

وقال إبراهيم بن ادهم «**الزهد ثلاثة أصناف زهد فرض وزهد سلامة وزهد فضل فالزهد الفرض الزهد في الحرام وزهد السلامة الزهد في المشتبهات والزهد الفضل الزهد في الحلال وعلى هذا فالزهد في الحرام ليس زهدا**» وقيل لا يسماه إلا إذا انضم لذلك الزهد بنوعيه الأخيرين من ترك الشبهات رأسا وفضول الحلال.وقال الإمام احمد الزهد «**هو على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام وترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص وترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين**».

هذه آثار حول الزهد أوردها الشبرخيتي في شرحه لهذا الحديث أتينا بها تعميما للفائدة ونفعا بها.

أما الدنيا التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرجل بان يزهد فيها فقد وردت في حقها آيات عديدة بعضها تحذر من فتنتها والإخلاد إليها والرضا بها والاشتغال بلهوها وجمع عروضها الزائلة من الحلال ومن الحرام.

كما وردت في القرآن الكريم آيات تدعو المسلم إلى اخذ نصيبه منها وهو ما هو حلال طيب.

والتوفيق بينها هو الذي ينبغي التوجه إليه لأنه هو المعبر عن حقيقة الإسلام وجوهره فالإسلام دين الوسطية والاعتدال ودين الأخذ بالأسباب ودين التوازن الذي لا إفراط فيه ولا تفريط ولا ضرر ولا ضرار وهو الدين الذي رضيه الله لعباده وهو الدين الصالح لكل زمان ومكان.

والاستدلال بآيات دون أخرى هو الذي يجعل من الرؤية لنظرة الإسلام للدنيا لا تكون متكاملة متطابقة مع خصائصه المعروفة.

يقول جل من قائل «**فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**» وقال **إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء**» إلى قوله تعالى «**قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير وأبقى**».

ويقول جل من قائل ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ويقول ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

وقد ورد في الأثر «**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعملا لآخرتك كأنك تموت غدا**».

وليس بين الآيات الأولى والآيات الثانية المتعلقة بالدنيا أدنى تعارض واختلاف بل هي منسجمة وينبغي دائما الجمع بينها ففي البداية والنهاية المقصود هو إرضاء الله الذي تتحقق به السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة ولا يكون ذلك إلا بتحرير العبد من كل مظاهر الاستعباد فتكون الدنيا في يده ولا تكون في قلبه وفي هذا السياق يدعو المؤمن دائما «**اللهم لا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا**» فالدنيا معبر وجسر لا بد من المرور به وينبغي أن يكون هذا المرور مرور القوي إذ «**المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف**» حديث و«**اليد العليا خير من اليد السفلى**» حديث و«**إن الله يحب أن يرى اثر نعمته على عبده**» حديث.

وما أجمله ذلك الفهم الذي فهمه أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لآية «**خذوا زينتكم عند كل مسجد**» حيث يقول ما دامت الأرض كلها مسجدا فان المؤمن مدعو إلى أن يأخذ زينته بصفة دائمة ومستمرة وكان رضي الله عنه يأمر أصحابه بأن يشربوا الماء البارد في اليوم الحار (عند توفره) لان حمد الله على اثر شرب الماء البارد يكون حمد حال ولسان وهو المطلوب من المسلم.

إن هذا الحديث الذي يدعو فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرجل وكل المؤمنين إلى الزهد في الدنيا لا بد أن يكون محل اعتبار واهتمام من المسلم للعمل بمقتضاه وأخذه بعين الاعتبار وذلك لإحداث التوازن لان الدنيا بزخارفها وبهارجها غرارة فتانة وكل ما ورد في حقها في كتاب الله العزيز من تحذير وترهيب في الإخلاد إليها والرضا بها لا بد من أخذه بعين الاعتبار والعمل بمقتضاه حتى لا ينسى المسلم انه راحل عنها لا محالة وحتى لا يعتقد انها غير فانية وحتى لا يدفعه جمعها وطلبها لفقد رشده ووعيه فيتهافت عليها ويحرص على جمعها من الأوجه الشرعية والأوجه غير الشرعية.

نسأل الله تبارك وتعالى وندعوه بما أمرنا أن ندعوه به «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»

ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن أحبهم وحببهم لعباده انه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

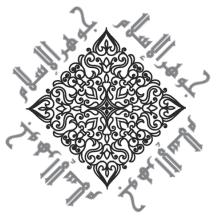

كتاب أدب مجالسة المشايخ وحفظ حرماتهم (الجزء الثاني)

تأليف الشيخ أبي عبد الرحمان السلمي رحمه الله (ت 412هـ/ 1021م)

تقديم وتحقيق الأستاذ عبد الهادي الهنركامب وأرش همذاني

10 واعلَـمْ أنّ صُـحبةَ الأولياءِ والأكابرِ خَطَـرٌ يُـؤَثِّـرُ فيه كلُّ خاطِرٍ وعارِضٍ. فـمَن صَـحِبَـهم فَلْيَـصحَبْهم كصُحبةِ الصدّيقِ[2] مع النبيِّ – صلّى الله عليه وسلّم[3]، فإنّه ما خالَفَه في دينٍ ولا دنيا، [76/ ب] فسَمّاه اللهُ تعالى صاحبَه حيثُ قال: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾[4] [التوبة: 40].

11 ومِن أدبِ[5] الصُحبةِ وتَـمـامِها أن لا يُصاحِبَ مَن يُـخالِـفُه في الأصولِ والفروعِ – فإنّ الفروعَ نتيجةُ الأصولِ. ولا يَـغُـرّه[6] قولُ مَن يقولُ: «إنّ فلاناً لا يُـخالِفُنا في الأصولِ.» فإنّ مُخالَفةَ الأصولِ الخروجُ عن حقيقةِ التوحيدِ ومُخالَفةَ

(1) ط: كتاب أدب صـحبة المشايخ تأليف الشيخ أبي عبد الرحمن محمد السلمي رحمه الله. قال الشيخ الإمام الفاضل أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي – رحمه الله – في أدب صحبة المشايخ.

(2) ط: + رضي الله عنه.

(3) ب: + ورضي الله عنه.

(4) ط: + لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا .

(5) ب: آداب.

(6) ط: يعد؛ ب :يغيره.

الفروعِ التَـهاوُنُ بالسُنَنِ والآدابِ ويَـتَـوَلَّـدُ منه ظلمةُ القلبِ وشَتاتُ[1] السرِّ[2] وسوءُ أدبِ الجوارحِ الظاهرةِ والـجوانحِ الباطنةِ. ويجِبُ أن يُـفَـرِّقَ الإنسانُ بين العِشرةِ والصُحبةِ. فإنَّ العِشرةَ للوقتِ والصحبةَ على الـمُداوَمةِ. وكُدُورةُ[3] العشرةِ مِن مُجالَسةِ[4] الأضدادِ، كما قال أبو عليٍّ الروذباري[5] مِمّا[6] حَكى لي عنه منصورُ بن عبدِ اللهِ[7] أنّه قال: «أضيَقُ السُجُونِ مُعاشَرةُ الأضدادِ.»[8] وكُدُورةُ الصُحبةِ مِن مُخالَفةِ الاِعتقادِ، كما قال يحيى بن معاذ:[9] «مَن خالَفَ عَقدُكَ عَقدَه خالَفَ قلبُكَ قلبَه.»[10]

(1) ط: سيآت السر.
(2) ب: الأمر.
(3) ط: كدور.
(4) ط: مخالفة.
(5) هو أبو علي أحمد بن محمّد بن القاسم بن منصور بن شهريار بن مـهرداذار بن فُرغُدُد بن كسرى (ت. 322 هـ). وهو من أهل بغداد، سكن مصر وصار شيخها ومات بها. صـحب الجنيد والنوري وأبا حمزة وحسناً الـمُسُوحي ومن في طبقتهم من مشايخ بغداد. وصـحب بالشام ابن الجلّاء. وكان عالماً فقيها عارفاً بعلم الطريقة حافظاً للحديث. انظر: **طبقات الصوفية**، 354 – 360.
(6) ط: فيما.
(7) روى السلمي عن منصور بن عبد الله بعض أقوال أبي علي الروذباري (انظر: **طبقات الصوفية**، 356 – 360.) فلعلّه أبو نصر منصور بن عبد الله بن إبراهيم الأصبهاني الصوفي الّذي قال ابن عساكر في ترجمته: «سـمع أبا جعفر سعيد بن تركان الصوفي بدمشق ومحمّد بن داود الدقّي وأبا علي الروذباري أحمد بن محمد بن القاسم وأبا عمران موسى بن عيسى البسطامي المعروف بعمّي ويعقوب بن إسـحاق وجعفر الخلدي وأبا يعقوب إسـحاق بن محمّد النهرجوري وأبا عمر الدمشقي وإبراهيم بن المولد الرقّي وأبا الخير التيناني ومحمّد بن أحمد بن الليث وإبراهيم بن شيبان القرميسيني وأبا الحسن بن الخوارزمي والعبّاس بن يوسف الشكلي وأبا الحسن المزيّن الكبير والقاسم بن عبيد الله بالبصرة. روى عنه أبو عبد الرحمن السلمي وأبو الفضل أحمد بن أبي عمران موسى الصرّام الهروي وأبو سعيد عبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب الرازي الصوفي.» انظر: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق عمر بن غرامة العمروي (بيروت: دار الفكر، 1995)، ج 60، ص 320 – 321.
(8) رواه البيهقي عن السلمي عن منصور بن عبد الله الأصبهاني عن أبي علي الروذباري. (البيهقي، **الجامع لشعب الإيـمـان**، ج 12، ص 72.)
(9) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ (ت. 258 هـ). خرج إلي بلخ وأقام بها مدّة، ثـمّ رجع إلى نيسابور ومات بها. **طبقات الصوفية**، 107 – 114.
(10) رواه السلمي في **آداب الصحبة وحسن المعاشرة** عن عبد الرحمن بن أحمد بن حمدويه عن العباس بن يوسف الشكلي عن محمد بن العلاء البلخي عن يحيى بن معاذ. (**مجموعه آثار**، 2/ 119.) ولكن رواه البيهقي عن السلمي عن منصور بن عبد الله عن الحسن بن علي القرمسي عن يحيى بن معاذ. (البيهقي، **الجامع لشعب الإيمان**، ج 12، ص 65.)

12 ومِن آدابِ مُجالَسةِ الـمشايخِ قِلّةُ الكلامِ بينَ أيديهم وقلّةُ سُؤالِـهم[1] إلّا في وقتِ الاِضطرارِ والحاجةِ. فإنّك إذا سَأَلتَ سؤالَ مُحتاجٍ، ظَهَرَت لك فوائدُ سؤالِك في جوابِه وأثَّـرَ عليك بركاتُه. وإذا سألتَ سؤالَ مُستَغنٍ[2] تُريدُ أن تُظهِرَ علمَك، كان جوابُه حُجّةً عليك[3] غير مؤثِّـرٍ عليك بركـتُه. ومِن صـحّةِ الصُحبةِ أن يَعرِفَ الرجُلُ[4] صاحبَه بالـمُشاهَدةِ في مُوافَقتِه ومُخالَفتِه ولا يُـحوِجَه إلى الإخبارِ عن نفسِه وحالِه. أَلا تَرى الصدّيقَ – رضي الله عنه – كيف عرَفَ مِن أخبارِ النبيِّ – عليه السلام – ما لم يَعرِفْ غيرُه حينَ[5] قال: «إنّ عبداً خيَّـرَه اللهُ بينَ الدنيا وبينَ ما عندَ اللهِ»؟[6] وذلك لصحّةِ صـحبتِه وقوّةِ إيـمـانِه. وقال الشافعي[7]: «ليس بأخيك مَن احتَجتَ إلى مُداراتِه.»[8]

13 ومِن آدابِه أن لا يَسأَلَ شيخَه مِن[9] زيادةِ محلٍّ أو رُتبةٍ أو كلامٍ فوقَ ما تكلّمَه به، ويَصبِرَ على رياضتِه، ويعلمَ أنّه أعرَفَ به وبأحوالِه منه بنفسِه وما يُؤدِّبُه به ويُشيرُ عليه خيرٌ له مِمّا يقترِحُ هو عليه وأنفعُ له عاجِلاً وآجِلاً. وإذا خَصَّه شيخُه مِن بينَ الأصـحابِ برفقٍ أو بعلمٍ أو بتأديبٍ[10]، اتَّـهَمَ نفسَه في ذلك ويظُنُّ أنّه رأى فيه[11] سوءَ أدبٍ أو شَرَهَ نفسٍ فـخَصَّه[12] بذلك. [77 / أ]

(1) ط: السؤال.
(2) ط: متعنت.
(3) ط: – عليك.
(4) ب: المرء.
(5) ط: حيث
(6) رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري وهو روى: أنَّ رَسولَ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم – جَلَسَ على المِنبَرِ فقالَ: «إنَّ عَبدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بينَ أنْ يُؤتِيَهُ مِن زَهرَةِ الدُّنيا ما شاءَ وبينَ ما عِندَهُ، فاختارَ ما عِندَهُ.» فَبَكى أبو بَكرٍ وقالَ: «فَدَيناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا.» فَعَجِبنا له، وقالَ النّاسُ: «انظُرُوا إلى هذا الشَّيخِ، يُخبِرُ رَسولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم – عن عَبدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بينَ أن يُؤتِيَهُ مِن زَهرَةِ الدُّنْيا وبينَ ما عِندَهُ، وهو يقولُ: ‹فَدَيناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا.›» فَكانَ رَسولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم – هو المُخَيَّرَ، وكانَ أبو بَكرٍ هو أعلَمَنا به. وقالَ رَسولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم: «إنَّ مِن أَمَنِّ النّاسِ عَلَيَّ في صُـحبَتِهِ ومالِهِ أبا بَكرٍ. ولو كُنتُ مُتَّخِذًا خَليلًا مِن أُمَّتي لاتَّخَذتُ أبا بَكرٍ، إلّا خُلَّةَ الإسلامِ، لا يَبقَيَنَّ في المَسجِدِ خَوخَةٌ إلّا خَوخَةُ أبي بَكرٍ.» » كتاب المناقب، باب هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصـحابه إلى المدينة.
(7) ط: + رحمه الله.
(8) رواه الربيع بن سليمان عن الشافعي – رحمه الله. انظر: أحمد بن الحسين البيهقي، **مناقب الشافعي**، تحقيق أحمد صقر (القاهرة: دار التراث، 1970)، ج 2، ص 194.
(9) ب: في.
(10) ط: تأدب.
(11) ب: منه.
(12) ب: أخصه.

14 ومِن آدابِ المريدينَ في مُجالسةِ الـمشايخِ أن لا يكونَ مُتَشَتِّتَ[1] الهمّةِ والخاطرِ بينَ يدَيه، وتكونَ هـمّتُه وخاطرُه مقصوراً على ما يرى مِن آدابِه وأخلاقِه وأوامرِه ونواهيه. فإذا تفرَّقَت عليه خواطرُه وهممُه[2] في مُجالستِـهم يسقُط عن درجةِ التأدُّبِ بهِم والأخذِ عنهم. ولا يُـجالِس الـمشايخَ على حدِّ الصبرِ عنهم[3]، بل يُـجالِسهم على نيّةِ الإفتخارِ بـمجالستِـهم والتبرُّكِ بـخدمتِـهم. ويَستعمل في آدابِ مُجالستِـهم أن لا يَعمَلَ ما يَعمَلُه الـمشايخُ، ويَعملَ ما يأمُرونه به[4]؛ ولا يُـخبِرَ مِن أحوالِـهم إلّا بـمقدارِ ما يَقبَلُه قلبُ مَن يُـخبِرُه به – فإنّ[5] للمشايخِ أسراراً لا يُشرِفُ عليها المريدونَ. وإذا أَخبَـرَ مِن أسرارِهم بشيءٍ فأَنكَرَه مُنكِـرٌ، هلك به. ولا يَبلُغُ التابعُ مقامَ الـمَتبوعِ إلّا بعدَ أوانٍ. ألا تَرى[6] النبيَّ – صلّى الله عليه وسلّم – قال[7]: «صَلّوا كما رأيتُـموني أُصلّي»[8] ولم يقُلْ: «صَلّوا كما أصلّي»؟ عَلِمَ عـجزَهم عن القيامِ بحالِه، فأدّاهم إلى ظاهرِ فِعلِه.

15 ويبدأ المريدُ في مُجالسةِ المشايخِ بالسكوتِ إلى أن يصِحَّ له أدبُ السكوتِ[9] في مُجالستِـهم. ثُـمّ يَـثْنِي سكوتُه[10] بـخدمتِه إن مَكَّـنَه من ذلك ورآه لها أهلًا. فإذا مكَّـنَه مِن خدمته وصَـحَّ له آدابُـها والقيامُ بـمَواجبِـها، نطَقَ[11] إنِ استَنطَقَه شيخُه أو أمَرَه بالكلامِ، ثُـمّ تكلَّمَ بـمقدارِ ما[12] لا بُدَّ له منه.

16 ويـجتهد المريدُ في خلوصِ نـيّـتِه لشيخِه[13] وصـحّةِ هـمّتِه في تعظيـمِه. فإنّه إذا صَـحَّ له ذلك، كفاه مِن علمِه الإشارةُ ومِن حكمتِه الشَمُّ. ومَن تَـحقَّقَ في

(1) ب: مشتت.
(2) ط: خاطره وهمته.
(3) ط: – عنهم.
(4) ر: – به.
(5) ط: فلان.
(6) ب: + أنّ.
(7) ط: يقول
(8) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر.
(9) ط: – في مجالسة ... السكوت.
(10) ر: شكره.
(11) ط: نظر.
(12) ر: – ما.
(13) ط: بشيخه.

خدمةِ المشايخِ ولزومِ[1] حُرُماتِـهم، أورثَه اللهُ تعالى بالرَغبةِ الرَهبةَ[2]، وبالإصرارِ التوبةَ، وبالحِرصِ القَناعةَ، وبالـجَزَعِ الصَبرَ، وبالسخطِ الرِضا، وبالتكبُّرِ[3] التواضُعَ، وبالتذلُّلِ التعزُّزَ، وبالشَكِّ اليقينَ، وبالإنكارِ المعرفةَ، وبالإعراضِ الإقبالَ، وبالضعفِ القوّةَ، وبِـحُبِّ الدنيا الإستغناءَ عنـها وعن أهلِـها، وبالحركةِ السُكونَ، وبالشَرَهِ الفَترةَ،[4]، وبالفناءِ عن صفاتِه وأحوالِه البقاءَ بالحقِّ، وبالكَسَلِ النَشاطَ، وبالغَفلةِ الإنتباهَ، وبالتدبيرِ التفويضَ، وبالسؤالِ الدعاءَ، [78 / أ] وبالـخِلافِ الموافقةَ، وبالبِغضةِ الـمَحَبّةَ، وبتشتُّتِ الهِمّةَ جَمعَها له[5] – على هذه المراتبِ إلى ما لا نـهايةَ ولا غايةَ.

17 وهذا كلُّه بصحّةِ اعتقادِه في خِدمةِ المشايخِ وتعظيمِ حُرُماتِـهم؛ فإنّه[6] مَن لم تُـرَ[7] على ظاهرِه آثارُ بَـرَكاتِ التأدّبِ بالأكابرِ، يَدُلّك[8] ذلك على خرابِ باطنِه. لذلك[9] قال حكيم الوقت، أبو حفصٍ:[10] «حُسنُ أدَبِ الظاهرِ عُنوانُ حُسنِ أدَبِ الباطنِ.»[11] وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32] – وتعظيمُ[12] الشعائرِ ظاهراً وتَـقوى القلوبِ باطناً – أَعلَمَك بذلك أنَّ

(1) ط، ب: ولزم.
(2) ط، ب: الزهد.
(3) ط: الكبر.
(4) ط: وبالفترة الشرّه؛ ب: – وبالشره الفترة.
(5) ط: + ثم.
(6) ط: وإن.
(7) ط: لم ير.
(8) ر: تدلّك.
(9) ط: كذلك.
(10) قد سبق ترجمته.
(11) أورد السلمي هذه الرواية في **طبقات الصوفية** (ص 122) وأتـمّها أبو حفص بهذا: «لأنَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – قال: ‹لو خشع قلبه لخشعت جوارحه.›» وأوردها في **آداب الصحبة** كجواب لسؤال الجنيد: «لما قال الجنيد لأبي حفص: ‹أدّبتَ أصـحابك آداب السلاطين.› فقال: ‹لا، يا أبا القاسم. ولكن حسن الأدب الظاهر عنوان حسن الأدب الباطن.›» (**مجموعه آثار**، 2/ 126.)
(12) ط: تقويم.

بَـرَكاتِ ما يَبدو[1] على الظاهرِ[2] مِن بَـرَكاتِ الباطنِ وأنَّ أنوارَ الباطنِ تُبدى[3] على الظاهرِ[4] آثارُها. لذلك[5] قال بعضُ الحكماءِ: «مَن صَفَت سريرتُه أشرَقَت عَلانيتُه.»

18 ومَن لم يُؤدِّبْه صُـحبةُ شيخٍ ناصـحٍ ولم يَـرُضْه مشاهدتُه، لا يُفلِحْ[6] حقيقةً – وإن ظهَرَت عليه آثارُ الفَلاحِ ظاهراً – ويكون في محلِّ الغُرورِ والإستدراجِ. ألا تَرى أنَّ النبيَّ – صلّى الله عليه وسلّم – قال: «طوبى لِمَن رآني»[7]؟ معناه: فإنّ مَن أثَّـرَ فيه بركةُ مشاهدتي وارتاضَ بمجالستي وتأدَّبَ بآدابي وتـخلّقَ بأخلاقي فإنّ أدبَه[8] كان أدبَ الحقِّ وخُلقَه ما وصفه به. رُوي عن رسولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم – وإن كان لا يَصِحُّ –[9] أنّه قال: «إنَّ اللهَ أدَّبَـني فأحسَنَ أدبي.»[10] ووَصَفَ [اللهُ] خُلقَه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]. وأيُّ خُلقٍ أعظمُ مِن خُلقِ مَن لم يَقطَعْه عنِ الحقِّ قاطعٌ ولم يشغَلْه عنه شاغلٌ؟ تَـرَسَّـمَ برُسُومِ الـخَلْقِ ظاهراً وتَـحقَّقَ بـحقيقةِ الحقِّ سِرّاً. ما أثَّـرَ عليه حالٌ، لأنّه كان عالياً عليـها خالياً عنـها بامتلائِه مِن مشاهدةِ الحقِّ[11] ومجاورتِه.[12] فآدابُ المشايـخِ والأكابرِ نتيجةُ أدبِه، وأخلاقُهم تَبعُ خُلقِه.

(1) ط: يبن.
(2) ط، ب: الظواهر.
(3) ب: تبدو.
(4) ب: الظواهر.
(5) ط: كذلك.
(6) ط: لا يصلح.
(7) صـحّحه الحاكم في **المستدرك** من حديث عبد الله بن بُسر. (انظر: كتاب مناقب الصحابة، في ذكر فضل الأمّة بعد الصحابة والتابعين) ونصّه: «طوبي لمن رآني، وطوبى لمن رأى من رآني، ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي.» وروى الإمام أحمد بن حنبل في **المسندِ** أحاديثَ تتضمّن النصّ، عن أبي سعيد الخدري وأبي أمامة وأنس بن مالك. وأيضاً روى ابن حبّان نظائرها من أحاديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي أمامة. انظر: أبو حاتم محمّد بن حبّان، **المسند الصحيح**، تحقيق محمّد علي سونمز وخالص أي دمير (بيروت: دار ابن حزم، 2012)، ج 4، ص 351–352.
(8) ط: فآدابه؛ ب: آدابه.
(9) ط: – وإن كان لا يصح.
(10) ط: تأديبي. روي بكلتا اللفظتين. سرد هذا الحديث في كثير من كتب التصوف. رواه السلمي في **جوامع آداب الصوفية** بلفظ «أدبي» (**مجموعه آثار** 1/ 343) وفي **آداب الصحبة** بلفظ «تأديبي» (**مجموعه آثار** 2/ 126). قال الزركشي: «معناه صـحيح أيضاً، لكنّه لم يأت من طريق صـحيح. وقد ذكره ابن الجوزي في **الأحاديث الواهية** ... وصـحّحه أبو الفضل بن ناصر [السلامي] وتكلم عليه وجعله من معجزات نبيّنا – صلّى الله عليه وسلّم.» (بدر الدين الزركشي، **التذكرة في الأحاديث المشتهرة**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1986، ص 160 – 161.)
(11) ر: – الحقّ.
(12) هذه التعابير تذكّر بعض ما نقله السلمي في **حقائق التفسير** من أقوال الصوفية في تفسير

فالمقتدي[1] بأخلاقِهم والمتأدِّبُ بآدابِهم كالمُتَخَلِّقِ بأخلاقِ الرسولِ – صلّى الله عليه وسلّم – والمتأدِّبِ بأدبِه. ومتى يصِلُ العبدُ إلى النورِ الأعلى وقد ضيَّعَ النورَ الأدنى؟ ومتى يصِلُ إلى حقيقةِ حُرمةِ الرسولِ – صلّى الله عليه وسلّم – وقد ضيّع حقوقَ مشايخِه – وتلك طريقتُه[2] في الوصولِ إليه؟ ثُمّ متى تصِحُّ له دَعوى المعرفةِ والمحبّةِ وقد ضيَّعَ حرمةَ الرسولِ – صلّى الله عليه وسلّم؟ واللهُ تعالى[3] [78 / ب] يقولُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 32]. وكمَا لا تصِحُّ حرمةُ الرسولِ – عليه السلام – إلّا بحرمةِ المشايخِ، كذلك لا تصِحُّ حرمةُ المشايخِ[4] إلّا بحرمةِ الإخوانِ وحُسنِ صحبتِهم وكريمِ عِشرتِهم. ولا يقرب مِن مشايخِه إلّا بحُسنِ الأدبِ، فإنّ اللهَ تعالى أدّبَ أصحابَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا﴾ [الحجرات: 4–5]، وكان بابُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – يُقرَعُ بالأظافيرِ.[5]

19 ومَن أحبَّ أنْ تصِحَّ[6] له صحبةُ الإخوانِ وحرمةُ[7] المشايخِ وخدمتُهم[8] فلْيُكرِمِ الفقراءَ أجمعَ مِن غير تمييزٍ، ويترُك تعظيمَ النفس والاِنتقامَ لها. فمِن التهاوُنِ بالفقراءِ وتعظيمِ النفوسِ[9] تَتولَّدُ كُلُّ بليّةٍ. ومَن وَفَّقَه اللهُ تعالى للقيامِ[10] بخدمةِ[11]

هذه الآية. ونحن نذكر بعضها هنا: «وقال الحسين [بن منصور الحلّاج]: ‹معناه أنّه لم يوثّر فيك جفاء الخلق بعد مطالعة الحقّ.› وقال: ‹صغرت الأكوان في عينك بعد مشاهدة مكوّنها.› ... وقال القاسم: ‹ليس للكون عليه أثر.› ... قال أبو سعيد الخرّاز في ذلك: ‹ليست لك همّة إلّا الله.› ... قال الواسطي: ‹لما بعث النبي – صلي الله عليه وسلم – بالحجاز، حجبه بها عن اللذات والشهوات وألقاه الغربة والجفوة. فلمّا صفاه بذلك عن دنس الأخلاق، قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.›» انظر: السلمي، **حقائق التفسير**، ج 2، ص 343–345.

(1) ب: فالمتخلّق.

(2) ب: الطريقة.

(3) ط: – والله تعالى.

(4) ط: – كذلك لا تصح حرمة المشايخ.

(5) روى البخاري عن أنس: «إنّ أبواب النبي تقرع بالأظافير.» انظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **الأدب المفرد**، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (الجبيل: دار الصديق، 2000)، 392.

(6) ط، ب: يصحّ.

(7) ط، ب: خدمة.

(8) ط، ب: – وخدمتهم.

(9) ط: – وتعظيم النفوس.

(10) ط: – للقيام.

(11) ط: لخدمة.

الإخوانِ وتعظيم حُرُماتِ المشايخِ وحَفِظَ على نفسِه آدابَ المقامَيْنِ جمعاً[1]، بَلَّغَه اللهُ تعالى مَبلَغَهم، ورزَقَه ممّا رزَقَهم. ومَن تَـهاونَ بـهاتَينِ الخصلتينِ، أورثَه ذلك[2] ذُلّاً لايَنفَكُّ منه أبداً.

20 ومِن مَواجِبِ الصحبةِ حفظُ عُهودِ المشايخِ والأكابرِ في أولادِهم وأصـحابِـهم وإخوانِـهم[3] كـمَا رُويَ أنّ عـجوزاً كانت تأتي النبيَّ – صلّى الله عليه وسلّم – فيُكرِمُها ويَعُولُ[4] لها. فقيلَ له في ذلك، فقال: «إنّـها كانت تأتينا أيّامَ[5] خديـجةَ؛ وإنّ حُسنَ العهدِ مِن الأيـمـانِ.»[6]

21 ومَن تأدَّبَ بآدابِ المشايخِ وحفظِ حرماتِـهم، صارَ إماماً يُـقتَدَى به وينتفِعُ به المريدونَ. ومَن كان نُشُوءَ[7] نفسِه هلَكَ وأهلَكَ.

22 وأصلُ التصوّفِ شيئانِ: تـحقيرُ النفسِ وتعظيمُ حُرُماتِ المسلمينَ. ثُـمَّ بعدَ ذلك، تـحقيرُ الأكوانِ[8] وتعظيمُ حُرُماتِ اللهِ[9] بـإسقاطِ حُرُماتِ الأكوانِ مِن قلبِك. ولكن مع هذا، مَن تَـرَكَ الأسبابَ لا يصِل إلى الـمُسبِّبِ، ومَن صَغَّرَ ما عظَّمَه اللهُ لا يدخُل في قلبِه تعظيمُ اللهِ وعظمتُه.

23 ومَن صـحِبَ المشايخَ وسـمِعَ كلامَهم لِـيَتَسَوَّقَ[10] به عندَ العوامِّ ويتَصَدَّرَ به في الـمجالسِ، أهلَكَه ذلك وأخرَجَه إلى هَتكِ الـحُرُماتِ [79/ أ] والدُّخُولِ[11] في الزَندَقةِ. لذلك[12] قال بعضُهم: «مَن سـمِعَ الموعظةَ لنفسِه كـتَـمَها وانتفَعَ بـها؛ ومَن سـمِعَها لغيرِه أشاعَها وهلَكَ بـها.»

---

(1) ط، ب: جميعا.
(2) ط: الله.
(3) ط، ب: وإخوانهم وأصـحابهم.
(4) ب: ويقوم.
(5) ر: أزمان؛ وفي هامشه: رواية أيام خديجة.
(6) رواه الحاكم في **المستدرك** 1/ 15–16، وقال: «حديث صـحيح على شرط الصحيحين.» أورده أيضاً السلمي في **آداب الصحبة**. (**مجموعه آثار** 2/ 73.)
(7) ر: نشوَ؛ ب: نُشُوَ. «ونَشَأَ السحاب نَشئًا ونُشُوءًا: ارتفع وبدا، وذلك في أوّل ما يبدأ.» (**لسان العرب**)
(8) ط: – وتعظيم حرمات المسلمين ... تحقير الأكوان.
(9) ر، ط: + ثم بعدها تعظيم حرمات الله.
(10) ط: ليتزين؛ هامش «ر»: ليتشرف بعامة.
(11) ط: أدخله.
(12) ط: كذلك.

24 ومَن لم يَـتَلَذَّذْ بصحبةِ الإخوانِ لا يَـتَأَدَّبْ بآدابِ المشايخِ. ومَن لم يَـتَأَدَّبْ بآدابِـهم لا تَصِلْ[1] إليه بركاتُ صـحبتِـهم. ومَن لا تصِلْ[2] إليه بَركاتُـهم قطعَه عن آدابِ الفرائضِ ومتابعةِ السُنَنِ ووِجدانِ بركاتِـها. ومَن خَلا مِن آدابِ الفريضةِ ومتابعةِ السُنَّةِ، حُرِمَ الوصولَ إلى مقامِ المعارفِ وبَـقيَ[3] مع مَفاوِزِ الِاغترارِ، ولا تظَهَرُ عليه بركاتُ المشاهداتِ[4] ولا حياةُ[5] المطالعاتِ ولا نُـمُوُّ الأحوالِ ولا سُـمُوُّ الأفعالِ، وتَطَرَّقَ[6] إلى العظائمِ مِن الدَعاوي ونزَعَ عنه[7] أنوارَ حقائقِ صِدقِ المعاني.

25 ومَن خَدَمَ المشايخَ، يَـجِب أن لا يستقطِعَه عن خدمتِـهم نعمةٌ مستحسَنةٌ ولا هُـجنةٌ[8] مستقبَحةٌ ويكونَ شغلُه ملازمةَ خدمتِه مِن غير أن يُعَـرِّجَ على شيءٍ سواه ليُوصِلَه بركاتُ صُـحبتِه[9] وخدمتِه إلى طريقِ الوصولِ إلى الحقيقةِ. فإنَّ مَن لَزِمَ الطريقةَ بـإرشادِ حكيمٍ ناصحٍ، بلَّغَه إلى منتـهى المقصَدِ، لأنّه يدُلُّه على أقربِ الطُرُقِ وأسهلِـها ويُلاحِظُه في أوقاتِه ان يعترِضَ عليه شيءٌ مِن العوارضِ فيرُدّه إلى الـمَحَجَّةِ وإلى سواءِ السبيلِ.

26 ومَن قال إنّ رُؤيةَ الأسبابِ تَـقطَعُ عن الـمُسبِّبِ فهو خَطَأٌ[10]، لأنّ تعظيمَ ما عظَّمَه اللهُ تعالى واجبٌ، وفي تعظيمِ الأسبابِ، إذا عظَّمها الله تعالى، تعظيـمُه. فإنّ كلَّ ما منه عظيمٌ. وإنّمَا تصغُـرُ الأشياءُ بالانتسابِ إلينا، فتصغُـرُ على حدِّ الـمَجازِ. فالأشياءُ بلا علّةٍ مِن حيثُ الحقِّ وغيرُ خاليةٍ[11] مِن العللِ مِن حيثُ العبدِ.

27 وإنّمَا يـجِبُ على المريدِ خدمةُ المشايخِ ما دامَ مُتَقَلِّباً في الإرادةِ والأحوالِ وسبيلِ[12] التأديبِ والأخلاقِ وسلوكِ الرياضاتِ والمجاهداتِ. فإذا فَنيَ عن

(1) ب: يصل.
(2) ب: يصل.
(3) ب: فيبقى؛ ط: في.
(4) ب: المشاهدة.
(5) ر: حِيوة؛ ط: خبرة.
(6) ط: يطرق.
(7) ط: منه.
(8) ط، ب: مجنة. وما أثبتناه هو من هامش «ر»: «هُجنة رواية»، حيث كلمة «محنة» ممحوة في النصّ.
(9) ط، ب: – صحبته.
(10) ط: تعظيم غير المسبب.
(11) ر، ب: خالي.
(12) ب: سبب.

الأحوالِ[1] وبلَغَ به إلى[2] درجةِ المعارفِ وارتفَعَ عن درجةِ المعارفِ[3] بمشاهدةِ المعروفِ وطالَعَ[4] بسِرِّه مَجاري المَقدورِ، إذ ذاك[5]، رجوعُه إلى المشايخِ والأسبابِ [79/ أ] حجابٌ إلّا على سبيلِ[6] التعظيمِ والحرمةِ، فإنّهم كانوا أدِلّتَه ومؤدِّبيه[7]، كما قال بعضُهم للجُنَيدِ حينَ رأى في يدِه سُبحةً، فقال له: «يا أبا القاسمِ، أنت – مع عُلُوِّ رأيك[8] وشَرَفِ حالِك – تأخُذُ بيدِك سُبحةً؟» فقال: «نعم، سَبَبٌ به[9] وَصَلْنا إلى ما وَصَلْنا لا نَـترُكُه أبداً.»[10] وكما رُوي أنّه رُئي[11] الجنيدُ في المنامِ فقيلَ له: «ما فَعَلَ اللهُ بك؟» فقال: «طاحَتْ تلك الإشاراتُ، وفَنِيَتْ تلك العباراتُ، وأُبيدَتْ[12] تلك الرسومُ، وغابَتْ تلك العلومُ، وما نَـفَعَنا إلّا رُكَيعاتٌ[13] كُنّا نَركَعُها في السَحَرِ.»[14] فأخبَـرَ – رضي الله عنه[15] – عن طريقِ السببِ لِئلّا يَـغـتَـرَّ مُدَّعٍ بالتَـهاوُنِ بالأسبابِ الّتي جعلَها اللهُ[16] أدِلّـةً وسُرُجاً[17].

28 فإنّ مَن عَظَّمَ الوَسائطَ حَيِيَ ببركاتِـهم. فإنّـهم أحياءٌ بالحقِّ لا بأنفسِهم وأرواحِـهم. فإنّ الخلقَ كلَّهم موتى إلّا مَن حَيِيَ بشاهِدٍ[18] حيٍّ،[19] فيُـفيض عليه

(1) ط: الأفعال.
(2) ط: – إلى.
(3) ط، ب: – وارتفع عن درجة المعرف.
(4) ط: من طالع.
(5) ب: فيكون إذا ذاك.
(6) ر: – سبيل.
(7) ر: مؤدّبونه؛ ب: مادبيه.
(8) ط: منزلتك.
(9) ب: – به.
(10) رواه البيهقي عن السلمي. انظر: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، **كتاب الزهد الكبير**، تحقيق عامر أحمد حيدر (بيروت: دار الجنان، 1987)، 293.
(11) ر: رُائي؛ ب: ريء.
(12) ط : انتبذت.
(13) ر: ركعات.
(14) رواه أبو نعيم وفيه «ركيعات». انظر: أبو نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء** (بيروت: دار الكتب الإسلامية، 1988)، ج 10، ص 257.
(15) ط: رحمه الله.
(16) ر: التي؛ ب: – الله.
(17) ط: شرطا.
(18) ب: بشهادة.
(19) روى السلمي هذا المعني عن بعض الصوفية في تفسيره: «قال بعضهم: ‹كيف يكون حيّاً من لم يحي بشاهد حيّ؟›» (السلمي، **حقائق التفسير**، ج 1، ص 364.)

مِن بركاتِ حياتِه ما يَدُلُّه على الطريقِ إلى الوصولِ إلى الحياةِ الحقيقيّةِ [1]والحيِّ الأزليِّ. فإنَّ اللهَ تعالى أحيا أقواماً مِن خَلقِه، جعَلَهم سبباً لحياةِ مَن أكرَمَه بالحياةِ وخَلَقَه له[2]. قالَ اللهُ – تعالى ذكرُه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الحج: 66]. معناه: أحياكم ليُحييَ بِكُم؛ ثُمّ يُميتُكم عن آثارِكم [3] وعن شواهِدِكم لتَحيَوا بي وتَسقُطَ عنكم أوصافُكم؛ فمَن شاهدَكم، إذ ذاك[4]، شاهَدَني فيكم؛ ومَن حَييَ بكم فقد حَييَ[5] دونكم، لأنّكم[6] في الحقيقةِ بي ولي[7]، فأوصافُكم عنكم فانيةٌ، وبركاتُ آثارِ صفاتي عليكم باديةٌ. فأنتم بلا أنتم، بل أنتم بي، بل لا أنتم – وأنا[8] أنا الحيّ الدائم لم أَزَلْ ولا أَزالُ[9] ذو الجلالِ والإكرامِ.[10]

29 وقد بَيَّنتُ في هذه الفصولِ الّتي رسَمتُها بركاتِ تعظيمِ المشايخِ والأكابرِ وحفظِ حُرُماتِهم والتَّأَدُّبِ بآدابِهم والتَخَلُّقِ بأخلاقِهم ولزومِ حُرُماتِهم، ودَلالةَ الشَقاوةِ على مَن تَهاوَنَ بهم أو خالَفَهم في أوامرِهم وآدابِهم. وأنا أسأَلُ اللهَ تعالى أن يُوفِّقَنا لِمَا ذكَرنا ولا يُسقِطَ عن قلوبنا حُرُماتِ المسلمينَ ويُعَرِّفَنا أقدارَنا لِئلّا نكونَ في محلِّ الِاغترارِ، بفضلِه وسَعةِ رحمتِه – إنّه وليُّه والقادرُ عليه.[11]

والحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمّد المصطفى وآله الطاهرين وسلّم تسليما[12]

(1) ر: الحياة الحقيقي؛ ب: الحياة الحقيقة؛ ط: الخير الحقيقي.
(2) ط: – له.
(3) ر، ب: إياكم.
(4) ط: مشاهدتي.
(5) ط: + بي.
(6) ط: لا بكم.
(7) ط: – بي لي.
(8) ط: أنا.
(9) ط، ب: – لم أزل ولا أزال.
(10) يوجد في هذه الفقرة ضرب من صنعة الِالتفات البديعية حيث يحول ضمير الغايب الذي يرجع إلى الله تعالى في «أحياكم ليُحييَ بِكُم؛ ثُمّ يُميتُكم عن آثارِكم» إلى ضمير المتكلم في ما يليه. قال ابن المعتزّ في تعريف الِالتفات: «وهو انصراف المتكلّم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ... قال الله – جلّ ثناؤه: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: 22].» (عبد الله بن المعتزّ، **كتاب البديع**، تحقيق إغناطيوس كراتشقوفسكي، بغداد: مكتبة المثنّى، 1967، ص 58–59)
(11) ر: + آخره؛ ط: – وقد بَيَّنتُ في هذه الفصولِ ... والقادر عليه.
(12) ط: تمت **آداب صحبة المشايخ** بحمد الله تعالى وحسن توفيقة والصلاة على خير خلقه محمد النبي وعلى آله أجمعين؛ ب: آخره والحمد الله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

مفاهيم إسلامية

ضرورة الموازنة بين مختلف جوانب شخصية الإنسان

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي ـ رحمه الله

جوانب شخصية الإنسان أجزاء معنوية منها ما لا يقل أثرها فيه ارتباطها به عن ارتباط أجزاء جسمه وإننا نلاحظ في أجسامنا طغيان بعض الجوارح عن بعض حتى يصبح ذلك البعض معطلا أو كالمعطل والأمر كذلك بالنسبة لأجزاء الشخصية وجوانبها، ويتمايز الناس ويتفاضلون في إتقان عملية التعديل والموازنة فأيهم كان اقدر على ذلك كان أحرى بالفضل وأجدر بالشكر لأننا نعلم علم اليقين أن كل إنسان مركب من عقل وعاطفة وحس ولكل من أجزائه الثلاثة دوره ومحيطاته وانه لن يكون الإنسان الكامل إلا إذا استغلت منه ملكاته الثلاث لتؤدي وظائفها الضرورية على أكمل وجه وأحسنه.

بيد أن **سلطان العقل** يجب أن يكون له دوره الأكبر وبيده الكلمة الأخيرة وهو الحري بالاضطلاع بدور الرئاسة لأنه سبب التكريم والتمكين ولكن لن نصل به إلى درجة التأليه أو الدكتاتورية العمياء فنقول لا قول إلا قوله ولا حكم إلا حكمه لان للعاطفة مبادئها التي هي من اختصاصاتها ولا يمكن أن يشاركها فيها مشارك كما لا يمكن للإنسان أن يعيش بدونها ولا أن يحقق كما له مستغنيا عنها فهي التي تربط الفرد بالفرد والفرد بالجماعة وهي التي تربط الإنسان بالحياة وأسباب الحياة وهي التي تغذي الوجدان وهي التي تربط هذا الإنسان بأمسه البعيد وبغده الموغل في التحجب والذي لن تعرف له نهاية.

وإذا كانت للعاطفة هذه الاختصاصات الجمة فللإحساس ميادينه الفسيحة التي لا بد أن تستعمل فيها خبراته وان يمارس فيها حقوقه كجسم يتطلب النماء والمتعة والحياة ومع كل هذا فان الذي نحتاج إليه كبشر أمدنا الله بكل طاقات العمل وإمكانيات الفلاح وهو التعديل الحكيم والموازنة المضبوطة حتى لا يطغى منها جانب عن جانب وحتى لا نعطل رسالة أي ملكة من ملكاتنا الفطرية والمكتسبة.

وان عملية التعديل والموازنة لتبدو عسيرة جدا خصوصا عند أصحاب الأمزجة الحادة التي يتجاوز تأثرها بالأشياء حد الاعتدال فيصبحون مصداقا لقول الشاعر:

وعين الرضى عن كل عيب كليلة كما إن عين السخط تبدي المساويا

وان هذا لواقع ملموس غير انه خطأ فادح يقع فيه جل الناس خصوصا أصحاب العواطف الجامحة الثائرة التي لا تقنع بان تلعب دورها في الحياة فتستأثر بدور العقل وتفتك منه سيطرته ونفوذه وكم يكنون سعداء وواقعيين لو طبقوا ما قاله الشاعر الآخر:

وللعقل عندي جانب لا أضيعه وللهو مني والصبابة جانـب

هذه لعمري إستراتيجية الجوانب الشخصية في البشر وهي التي تقتضيها الحكمة وتحتمها المصلحة لان تعطيل الإنسان لأي جانب من جوانب شخصيته وأد وإجرام ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾.

وإننا إذا أردنا أن نصارح أنفسنا ونقول الحق (**والحق أحق أن يتبع**) فلا نخجل من أن نقول إن التعديل والموازنة يشكوان لدينا حيفا وأي حيف، وإننا إذ نبخسهما حقهما فلا نبخس إلا حقنا في الحياة السعيدة الرغيدة، ولا نجني من وراء ذلك إلا الخيبة المرة والخسارة المتكررة والغريب المدهش أن يحس الإنسان بالخيبة ويلامس أثارها ويتجرع مرارتها ثم يلازم أسبابها ويأبى أن يبرح مكانها أو يصرف اتجاهه عنها.

إننا لنشاهد عند أمم أخرى ليست أكثر منا ثقافة ولا ذكاء ولا تجربة التمايز الحكيم بين جميع الأشياء، ونلحظ في إكبار الاعتدال في تصريف الملكات البشرية وأعطاه كل جانب من جوانب شخصياتهم ما هو في حاجة إليه وما يطلبه الواجب منه. فلا يمنعه وجود الشاب منهم في الملهى والمرقص والحانة عن وجوده في المعبد وعن وجوده في أي عمل إنساني وديني نبيل، إن أية عاطفة فيه لا تميت عاطفة أخرى ولا تعطل جانبا من جوانبه العقلية.

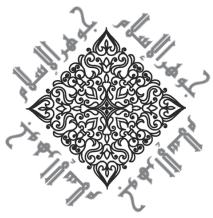

في الذكرى الخمسين لوفاة الزعيم المغربي والمفكر الإسلامي علال الفاسي رحمه الله (1974 ـ 2024)

العلّامة الكبير والمُصلح الشهير
علّال الفاسي المغربي
إضاءة عن الجانب العلمي
(1326ـ 1394هـ / 1908 ـ 1974م)

بقلم: صالح العَوْد/ باحث وكاتب

هو شخصية رفيعة، وذات تاريخ عريق، سَطَع ذكره داخل بلاده وخارجَه، لِما أسْداه لأمّته من جلائل الأعمال، وترْكه من آثار ولمسات لا تزال حيّة بعد وفاته حتى يومنا.

وفي ظنّي ـ والله تعالى أعلى وأعلم ـ أنه قريبُ الشّبه برَيْحانة تونس الخضراء، العلّامة البَحْر ـ هكذا يُنْعتُ في مُجتَمع علماء بلاده، ألا وهو الشيخ المفتي: محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور، المُتوفّى سنة (1390هـ = 1970م) رحمه الله وطيّب ثراه.

وقبل استطلاع جهاده العلمي، والاجتماعي، والإصلاحي، في حياته الباسلة، رحمه الله وأثابه إلى يوم الدين، لا بد أن نُلقي لَمْحةً عن شخصيته الذاتية، فأقول، ومن الله الرضا والقبول:

حين عزمتُ واستعنتُ بالله عز وجلّ للتّحرير، عُدتُ إلى مكتبتي الشخصيّة المتواضعة، فاستخرجتُ منها ما كان فيها من مصادر ومراجع، فكان اللّافت عندي منها كتابان مُهمّان هما: (رجال عرفتهم في المغرب والمشرق/ أبو بكر القادري)؛ و(إسعاف

الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين/ محمد بن الفاطمي)[1]، إذ كتبا كتابة واسعة لا مَثيل لها فيما أعلم، بل مفصّلة، وبكل حب، وصدْق، ووفاء. ومُجْمل ما ذكرا، أن علال الفاسي يَنْحدر أصْلًا من عائلة عربيّة أندلسية، نزحت إلى بلاد المغرب فِرارًا من الاضطهاد التّعسُّفي الذي لَحِق بالمسلمين في بلاد الفِرْدوس زمانا، وتنكيل محاكم التفتيش القاسي بهم، إما التنصير، وإما التعذيب حتى الموت.

يقول الأستاذ الفاطمي: «استوْطنْت بمدينة فاس تحت بني الجد واشتهرت بآل الفاسي الفهري وساهمت في جميع المجالات العرفانية حيث أنجبت علماء جهابذة وفقهاء نحارير وقضاة بارزين ومؤلفين بارعين ناهيك بواسطة عقدهم الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف بن محمد بن يوسف وشبليه الحافظ سيدي أحمد وسيدي علي وشيخ الجماعة سيدي عبد القادر بن علي ونجله شيخ الجماعة سيدي محمد بن عبد القادر وصنوه الشيخ الرياضي سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر صاحب الاقنوم في مبادئ العلوم» ص 472.

كان والده: الشيخ عبد الواحد بن عبد السلام بن علّال الفِهْري (مولدًا ومنشأ وتعلّما ووظيفة)، إذ كان يعمل خطيبا، ومُدرّسا، ومُفتيا، وكاتبًا (صاحب قلم).

لذا، وُلد نجله علال هذا بمدينة فاس في كنف أسرة متميّزة، فاهتمّ به أبوه بعد مولده واعتنى به غاية الاعتناء: تنشئةً، وتربية، وتعليمًا..

يقول الأستاذ الفاطمي: «كان محل عناية فائقة، خاصة عنده لكونه الولد الوحيد الذي وهبه الله له وكان أمله الكبير العريض أن يبتسم الزمن في وجهه فيحالفه الفوز والانتصار حتى يتخرج عالما من علماء المغرب الافذاذ وقد حقق الله تعالى رجاءه فكان مبرزا على أقرانه مفخرة أسرته بل مفخرة القرويين والمغرب علما ونبوغا وذكاء وعبقرية ووطنية صادقة ومقاومة مستميتة» ص 473.

وَمِن هنا نعلم ونفهم أنّ علّالًا صار «نابغة» بامتياز، وبدون مُنازع، وذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء، وبناءً على ذلك، فقد عَدَّ له الأستاذ الفاطمي ـ في ترجمته الواسعة ـ (خمسًا وثلاثين) شيخًا دَرس عليهم ابتداءً من الكُتّاب وانتهاءً بالقرويّين.

وهو سرٌّ ربّاني كي يُعِدّه الله عز وجلّ لـ«ساحة الوغى» من أجْل إعلاء كلمة الله، والذّوْد عن دينه، والدفاع عن بيضة الإسلام، زمن الاستعمار الفاشل والغاشِم، بكلّ ما أوتِيَ من قوّة، وجَلَد، واهتمام، وشجاعة، وكفاءة غير منقوصة أمام الأعاصير العاتية، التي سوف تواجهُه مُستقبلًا.

(1) وهو من إهداء الدكتور محمد أبياط في 16 ربيع الأول 1415هـ = 19/ 8/ 1994م

والقارئ الكريم(ـة)، إذا أَبْصر مسار علّال الفاسي (العلمي) سيَرى عَجَبًا في ذلك، وإن لم يبْرز كعالِم يُشار إليه بالبنان على غِرار مَنْ سلكه، فأصْبح «شَيخًا» لا يُشق له غبار. وَلْنتتبّع ماذا درس وعلى مَنْ دَرَسَ، وإليك البيان، نقْلًا عما ذكره الأستاذ الفاطمي في كتابه: (الإسعاف/ ص472 ـ 473 ـ 474) مُجْملًا ومُلَخّصًا مِنّي كالتالي: «لما وصل إلى سن التمييز، أدخله والده إلى الكُتّاب لتلقّي مبادئ الكتابة والقراءة، وحِفْظ كتاب الله العزيز، فقرأه على:

1. الفقيه سيدي محمد الخمسي،

2. ثم على الشريف الفقيه سيدي محمد العلمي إلى ان حفظه في سنّ مبكّرة.

3. ثم اتصل بالفقيه العلامة أحمد بن عبد القادر ابن موسى وأخذ عنه دروسا من رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

4. الفقيه العلامة عبد القادر بن محمد ابن حيون، أخذ عنه دروسا من المرشد المُعين، ومن المقدمة الأجرومية في قواعد اللغة العربية.

5. ثم اتجه إلى جامع القرويين العتيق العامر للارتواء من ينابيعه، حوالي عام (1338هـ = 1920م)، فقرا على الكثير من علمائه الأخيار.

وقد كان في عِداد شيوخه أيضا: المُصلح الشهير في زمانه: أبو شعيب الدُّكالي، فقد كان قُدوته في حياته وبعد مماته.

وظائفه العلمية: أجَلّ ما أُنيط به من أعمال رسميّة، فهي تكليفه بإدارة وزارة الشؤون الإسلامية في سنة (1380هـ = 1960م)؛ ثمّ عُيّن أستاذا في كلية الشريعة بظهر المهراس التابعة للقرويين؛ ثم بكليتي (الحقوق) و(الآداب) التابعتيْن لجامعة محمد الخامس في الرباط، وبدار الحديث الحسنيّة.

مؤلّفاته: للأستاذ علّال الفاسي مؤلّفات متنوعة في عدّة موضوعات حبّرها، وصدرت كتبا نفيسة، منها:

1ـ دفاع عن الشريعة. 2ـ مقاصد الشريعة الإسلامية. 3ـ مهمة علماء الإسلام. 4ـ عقيدة وجهاد. 5ـ معركة اليوم والغد... وغيرها.

وفي الختام، فقد برز الأستاذ الراحل علال الفاسي رحمه الله بشخصيّته الفذة، وبأعماله البارة، وبنفوذه في محيطه، وبشهرته في الداخل والخارج، وقد صدق وصف أبو بكر القادري فيه:

« داعية إسلامي كبير، ومجاهد مؤمن صادق، وكاتب صَحَفيّ قدير، ومحلّل اجتماعي ممتاز، وشاعر عبقري فحل».

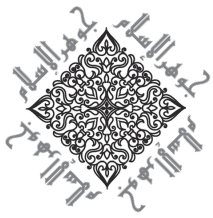

في الذكرى الخمسين لوفاة الزعيم المغربي والمفكر الإسلامي علال الفاسي رحمه الله (1974 ـ 2024)

علال الفاسي موقع متميّز في الفكر الإسلامي الحديث [1]

بقلم الأستاذ عبد القادر الإدريسي

(المغرب)

عند البحث عن موقع علال الفاسي بين مفكري الإسلام ومنظريه في هذا العصر، نجده يقف متميّزا بين الكوكبة الاولى من أئمة العلم وشيوخ الدعوة وقادة العمل الإسلامي في البلاد العربية الإسلامية.

وفي مصر، وإلى جانب جماعة الإخوان، كانت هناك جمعيات نشيطة ذات تأثير ملموس في الوسط الشعبي العام، مثل جمعية (الشبان المسلمين) التي لا تزال قائمة بصفة «قانونية» إلى يومنا هذا، وإن كان أثرها ضعف ونقص، لأسباب ليس هذا موضع الخوض فيها.

وإذا أخذنا جماعة الإخوان المسلمين كمثال على الحركات الإسلامية ذات الثقل والبعد الفكري والمضمون العقائدي والمحتوى المتميّز، لا نجد أوضح وأكثر تفصيلا من (رسائل حسن البنا) في بيان المنهج الاخواني والخط الفكري والسياسي الذي اعتمده الإخوان في

(1) 13 مايو 1984

مصر وفي الشام والعراق والسودان، وفي الخليج بعد ذلك.

والذي يهمنا بالدرجة الأولى، أن فكر الاخوان يتجلى بوضوح كامل في رسائل حسن البنا. وأول ما يلفت الانتباه أن الإخوان في منطلقاتهم الأساس التي خطها مؤسس الجماعة، يمثلون صفاء الإسلام وواقعيته ونظرته الموضوعية إلى الأشياء. ففكرهم هنا فكر إسلامي قائم على الكتاب والسنة، ونبذ الفرقة والانحياز إلى الجماعة واعتماد الرؤية المعتدلة مقياسا للتحليل. وهذا يعود إلى شخصية حسن البنا في المقام الأول التي اتصفت بالرزانة وبالحلم وبالعلم الديني وبالتقوى والورع والصدق مع النفس. وحسن البنا في رسائله التي هي دستور الإخوان، يلتقي مع الصفوة المختارة من رواد الفكر الإسلامي في هذا العصر.

ومن هنا، فإن الدارس لكتب وخطب وكلمات ومقالات علال الفاسي يجد نفسه وجها لوجه امام الأفكار الأساس التي قامت عليها اليقظة الإسلامية في مصر والشام والجزيرة في بدايتها الأولى، إلى جانب ما امتاز به علال من قدرة عقلية على بلورة الأفكار وصياغتها في قالب مغربي في إطار النظرية الشاملة التي يعبر عنها بالإنسية المغربية. وهو الأمر الذي أعطى لفكر علال بين هذا الرهط الكريم من المفكرين المسلمين الذين كان لهم الفضل والسبق في وضع قواعد النهضة واسس الصحوة، الوضع المتميز والموقع المتفرّد. ولذلك فإن فكر علال، في الجملة، أصدق تعبيرا عن السلفية الإسلامية السياسية الاجتماعية التربوية، مما يشكل، إذا شئنا، خلاصة الأفكار الإسلامية التي جاهد من أجلها ودافع عنها وعاش لها، محمد عبد الوهاب، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وبوشعيب الدكالي، ورشيد رضا، والألوسي، وعبد الحميد بن باديس، وشكيب أرسلان، وحسن البنا، وسيّد سابق، ومصطفى المراغي، وأبو الأعلى المودودي، وسعيد النورسي، وابو الحسن الندوي، وعبد الحميد سعيد، إلى آخر هذه الطبقة من الأعلام الكبار.

لقد قامت الحركات الإسلامية في المشرق العربي، وفي الهند وباكستان، أساسا على المطالبة والعمل والنضال من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة المنهج الإسلامي وصبغ الحياة كلها بالصبغة الإسلامية التي هي صبغة الله. وعند علال نجد هذه الافكار والمبادئ والأهداف أوضح ما تكون: يلتزم بها، وينهض بعبء النضال في سبيلها، سواء في دائرة الحزب، أو على صعيد الجامعة، أو على مستوى

العلاقات العامة، والاتصالات مع الشرق والغرب، أو فيما كان يكتبه ويحاضر فيه في مختلف المناسبات، منذ أن تصدّى للعمل العام، ونذر نفسه للكفاح من أجل دينه ووطنه وأمته.

يقول علال في كتاب (**منهج الاستقلالية**) تحت عنوان فرعي: (الاستقلالية توفق بين الإسلام والنظريات الحديثة):

«إن مما يدخل في صميم العقيدة الإسلامية، قيام دولة مغربية على قواعد الإسلام وتقوية الحضارة العربية. وهذا يعني إعادة المعجزة التي قام بها محمد عليه السلام».

ويقول في موضع آخر: «إن التقدمية شعارنا نحن، لأننا مسلمون، ولأننا نقول ذلك ونعمل به. إننا لا نفعل ذلك تقديرا للغرب ولا للشرق، ولكن نفعله خدمة لأنفسنا وامتثالا لتعاليم ديننا».

ويقول أيضا: «...وأما الإسلام، فهو الوجود الداخلي للمواطنين والمظهر العام لكل أمانينا والمنظم الصالح لكل تقلبات حياتنا، وهو أساس الحضارة التي جعلتنا امة واخرجتنا من العقم إلى الانتاج ومن العبودية إلى الحرية، وباسمه استطعنا أن نحمل علم الكفاح ونسير مع أبطالنا وملوكنا لنشر المعرفة والسلام في كل انحاء الدنيا».

وتحت عنوان (الوعي الإسلامي) من فصل (العدالة الاجتماعية) في كتابه (منهج الاستقلالية)، يقول علال: «إن كل ما تكلمنا عنه من عمل بنائي، لا يتحقق في وطننا على الشكل الذي نريده، إلا ببعث صحيح للوعي الإسلامي في نفوسنا. إننا أمة مسلمة وحسبنا ذلك باعثا على أن نعرف معنى الإسلام ونتمسك بشعائره ونتخلق بأخلاقه. وليس يكفي أن نقول إننا مسلمون ونرتكب كل ما يتنافى مع الإسلام الصحيح».

ثم يتحدث عن اسلوب التغيير، فيقول: «...وطريقة بعث الوعي الإسلامي لا تتم إلا بنشر الثقافة الإسلامية، ودعوة الشباب الإسلامي لمعرفة العقيدة الإسلامية وما فيها من جمال ودفع للحرية، ودراسة أحكام الإسلام في العبادات والمعاملات وتفهم اسرارها ومقاصدها ودراسة السيرة النبوية وما تتضمنه من دروس القوة والصدق والإخلاص والمحبة والقيادة الرشيدة والانسانية الكاملة، ثم دراسة سير الرجال العظام الذين أنجبهم الإسلام، ولا سيما المغرب من أولياء وأبطال وملوك وعلماء وأدباء، والاقتداء بهم فيما بذلوه من جهد لنشر دعوة الإسلام والمحافظة على

أخلاقه في أحرج الظروف التاريخية».

إن علالا يرى أن الاستقلالية لا تتصور أن مغربا غير عربي وغير إسلامي. والتحرر الاقتصادي عنده، ليس إلا وسيلة لاطمئنان الانسان وتحريره الفكري والروحي.

ولعل من المناسب أن أذكر أن كتاب (منهج الاستقلالية) كان في الأصل التقرير المذهبي الذي قدمه علال للمؤتمر السادس للحزب المنعقد في الدار البيضاء في يناير ١٩٦٢. وينبغي أن نلاحظ الظرف الدقيق الذي جهر فيه علال بهذه الافكار، سواء على الصعيد الوطني، أو على مستوى الوطن العربي والإسلامي. ففي تلك الفترة تغلّب المدّ المعادي للإسلام في المشرق والمغرب على السواء، وقامت أنظمة لم يكن لها من همّ إلا الكيد للإسلام ومحاربة دعاته ومفكريه وعلمائه.

بيد اننا نجد علالا يخصص في منتصف الستينات، كتابا كاملا للدفاع عن الشريعة الإسلامية. ويخوض في مباحث متشعبة هي اليوم محور نشاط الحركات الإسلامية ومثار نقاش وجدل سياسيين في العالم العربي الإسلامي، وهو كتاب (دفاع عن الشريعة).

ويطرح علال في هذا الكتاب سؤالا هو نقطة الارتكاز في العمل الإسلامي العام: هل يمكن الرجوع إلى الشريعة والتخلّي عن القوانين الاجنبية؟

ويبادر إلى الإجابة بمنتهى الحسم والوضوح:»...أما من جهتنا، فنحن نرى ذلك سهلا ميسرا، لأننا امة مستقلة تحكم نفسها بنفسها، ويمكنها أن تتخذ من الأنظمة والشرائع ما تريده، على شرط واحد، وهو أن ترضى عنه الأمة ويتفق مع وجهتها».

ويقول: «...إن عودتنا إلى قانون الشريعة الإسلامية امر منوط برغبتنا وعزيمتنا، وبمقدرتنا على التحرر من بقايا الاستعمار الاجنبي الفكري في نفوسنا وثقافتنا».

ويضيف: «...إن المستعمرين تهتزّ أعصابهم حينما يسمعون أن بلدا إسلاميا يريد العودة لأحكام الإسلام. لأنهم يرون في ذلك هدما لكل ما بنوه من اسس من شانها إذا ما دامت، أن تعفي على روح الكيان الخاص والذاتية الإسلامية المستقلة».

وبعد أن يبرز العذر الذي لهؤلاء، لأنهم يريدون أن يخلقوا في المستعمرات أناسا على صورتهم وأن يرجوا ثقافتهم وأفكارهم وقوانينهم، يتحدث عن المسلمين عموما والمغاربة على الخصوص، وبالأخص الفئة المثقفة منهم التي تهتزّ أعصابها حينما تسمع دعوة إلى الرجوع للشريعة، مخافة أن يقول المستعمرون عنهم انهم رجعيون

أو ان ذهنيتهم لم تتحول عن حالها على الرغم مما تعلموه من علم وتقنية الغرب.

ثم يغوص علال في كتابه (دفاع عن الشريعة) في مباحث حول تدوين الشريعة، التدوين حسناته وسيئاته، فائدة تدوين، كليات وقواعد وأحكام مستخلصة من كتاب الفقه، القرض بالفائدة، الضمان، الحدود. وهنا نجد علالا يكتب بمنتهى الوضوح، فيقول:

«... ومن الأبواب الشرعية التي يقشعر لها أنصار القوانين الاجنبية ووارثو القوامة على الأنظمة الأجنبية، أبواب الحدود والقصاص، فإن قلت لهم أقيموا الشريعة، قالوا: أتريد منا أن نقطع يد السارق ونرجم الزاني؟، متجاهلين قول الله تعالى: **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)**

يقول علال الفاسي: «...إن الشريعة الإسلامية أخفّ التشريعات الانسانية في ميدان الجريمة، وقد امتازت بمميزات نذكر منها: أن انواع العقوبات فيها قليل، فهي لا تخرج عن عقوبات بدنية، اتفق عليها كل الفقهاء، وأعني بها القصاص في القتل العمد أو في إصابة عضو من أعضاء جسم المجني عليه عمدا ومن غير حق، ثم عقوبة السرقة، بقطع اليد، إذا لم يكن هناك سبب شرعي، كحصول الجوع وعدم وجود وسيلة الحياة، وعقوبة المحاربة (الذين يمارسون جريمة الحرابة) أي قطاع الطريق بوسائل الحرب والعنف ، وعقوبة القذف بالزنا، وعقوبة الزنا والسكر، وفيما عدا ما ذكر عقوبة التعزيز، إلى جانب هذا ثم تعويضات مالية كالدية في القتل الخطأ أو عند العفو عن القصاص، وفي الكفارات المالية وفي ضمان صيد الحرام ونباته وفي ضمان تلف المغصوب. وهناك عقوبات أدبية كرد شهادة الفاسق، وشهادة القاذف بعد ثبوت التهمة عليه».

وبعد أن يورد علال القواعد التي وضعها الشارع والتي ينعدم معها وجوب تطبيق العقوبات المذكورة في محالها، مثل الحديث الشريف (ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة)، ينتهي إلى القول بأن تدوين قانون عقوبات يتفق مع الشريعة الإسلامية، ممكن دون أن نحتاج إلى تعطيل حد من حدود الله أو التخلي عن قصاص اراده الشارع، دون أن نجد اي صعوبة في التطبيق وفي قبول الناس للأحكام التي يعاقب المذنبون منهم بها.

ويؤكد علال، وهو رجل دعوة وجهاد إسلامي وفكر مستنير، أن هذا القانون سيكون لا محالة اخف وطاة من قانون العقوبات المطبق في كثير من البلاد الإسلامية وفي بلادنا على الخصوص، فقد اصبحت هذه المدونات والأحكام التي يصدرها القضاة بمقتضاها، زجرية تتنافى مع روح الشريعة السمحة، ومع ما ينبغي أن يعتبر عليه المجرم كانسان منحرف أجدر بالصلاح والرحمة منه بالزجر والايلام.

وعن منهج الحكم في الإسلام، يقول علال في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها)، إن سلطة الأمة مقيدة بالتوافق مع اصول الشريعة الإسلامية. وهذا هو الفرق الأساس بين نظرية السيادة في الإسلام وبين غيرها من النظريات. فالدين في الدولة الإسلامية لا يمكن أن ينفصل عن السياسة بل هما توأم. وهو هنا يمس شطرا اساسا من نظريات الحكم في الأنظمة القائمة الآن في العالم، على نحو يبرز الفرق القائم بين الديمقراطية في الغرب والديمقراطية في الدولة الإسلامية. وهو فرق اساس ما في ذلك. فالأمة وان كانت مصدر السلطات، فلا يحق لها، أن تتعدى حدود الله، أو تسن ما يخالف دين الله. ولذلك فمدار الأمر الأمر كله حول الشريعة الإسلامية في البدء والختام. أو كما يقول علال: «إن السيادة الأصلية لله سبحانه وتعالى، ومعنى ذلك- يضيف قائلا- ضرورة الرجوع لله في الأمر والنهي. أما السيادة العملية، فهي مستمدة من الشعب باعتباره الذي يعين أهل الحل والعقد في الأمة».

وهنا تبرز خصوصية علال بين جماعة المفكرين المسلمين في هذا العصر، الأمر الذي يرقى به إلى مستوى التأصيل والتقعيد ويجعله أهلا للحكم في قضايا فكرية لا تزال مثار جدل كبير في الساحة الإسلامية.

إن علالا، من موقعه الفكري ذاك، من القمم العقلية والتنظيرية في هذا العصر. فقد جمع في فكره وعمله وكفاحه ومواقعه وحياته كلها، ما تفرق في ذلك الرهط الكريم من الأخيار المجاهدين العاملين من الذين ذكرت اسماءهم هنا، ومن الذين لم نذكر لهم اسماء لغيابها عن الذهن.

وعلال، وهو زعيم حزب تبنّى الإسلام ايديولوجية وعقيدة ومذهبا، وهو مفكر شجاع له موقعه المتميز، وهو رائد السلفية والوطنية (أو لنقل: السلفية الوطنية دون واو الإضافة...)، مفخرة للمغرب وللعالم الإسلامي أية مفخرة، ولا تزال أفكاره ونظرياته واجتهاداته ومواقفه، شاهدة على سبقه وفضله وقدراته الفائقة على ريادة عصره.

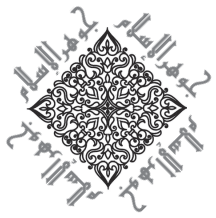

في الذكرى الخمسين لوفاة الزعيم المغربي والمفكر الإسلامي علال الفاسي رحمه الله (1974 ـ 2024)

علال الفاسي الزعيم الوطني والمفكر الإسلامي

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

ولد **علال الفاسي** في شهر جانفي من سنة 1910 بمدينة فاس العاصمة العلمية والدينية بالمغرب الأقصى وكانت وجهته في التعليم إلى جامعة **القرويين** وذلك بعد التأهل والتحصيل في المدارس والمعاهد الأهلية ومن **القرويين** أخت **الزيتونة والأزهر** تخرج **علال الفاسي** أستاذا في العلوم الإسلامية ليتبوأ مقعد التدريس إلى جانب زملائه ومشايخه هذا التدريس الذي ظل وفيا له حتى بعد أن توجه في الحياة وجهة نضالية سياسية واجتماعية فقد ظل رغم ثقل الأعباء وكثرة المسؤوليات والالتزامات محافظا على صفته الأساسية التي هي المربي والمدرس والمعلم والأستاذ يجد في ذلك راحة وسلوانا ويرى لذلك أثرا واضحا يتمثل في النحت لشخصية أجيال متعاقبة من أبناء المغرب وطلاب البلدان الافريقية والإسلامية الذين يفدون على جامعات **القرويين ومحمد الخامس ودار الحديث الحسنية**.

لقد كان **علال الفاسي** رحمه الله عالما مستنيرا وداعية مصلحا تفاعل مبكرا مع دعوات الإصلاح والتجديد والعودة إلى الأصول ونبذ الخرافات والشعوذات من اجل نهضة حقيقية للعالمين العربي والإسلامي ومن أجل تحرير شعوب هذه البلدان من ربقة الاستعمار هذا الاستعمار الذي ما كان ليسيطر على بلدان العالمين العربي والإسلامي لولا القابلية للاحتلال والامتهان ولا سبيل للقضاء على هذه القابلية للاحتلال والامتهان إلا بقيام أمثال **علال الفاسي** من العلماء الأعلام والوطنيين

الصادقين بدورهم في تنقية العقيدة الإسلامية من الشوائب والخرافات وكل ما إعترى الفكر الإسلامي من وهن وتخلف وإنحراف.

لقد كان **علال الفاسي** رحمه الله في المغرب من رؤوس حركة الإصلاح والتجديد الديني والعودة إلى الأصول الثابتة والتسامي عن التعصب والتزمت والتقليد الأعمى، كان **علال الفاسي** سفير حركة الإصلاح التي تزعمها **جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده** في **القرويين** أولا وفي كل فضاءات التوجيه والارشاد والإصلاح والتوعية والتعبئة من اجل تحرير البلاد الإسلامية والعربية.

وكان **لعلال الفاسي** رحمه الله من الوعي والإدراك، ومن الذكاء والفطنة ما جعله ينتبه إلى خطورة ما يدبره المستعمر ومن ورائه الدوائر المتعددة من نشر للفتنة والفرقة ودعوة إلى العصبية العرقية بين أفراد الشعب الواحد ولأجل ذلك فإن **علال الفاسي** رحمه الله وقف بجرأة وشجاعة كلفته المضايقة والسجن والترحيل إلى أقاصي إفريقيا ضد الدعوة إلى النزعة البربرية وليس ذلك منه رحمه الله إنكارا لأصول تاريخية لقسم لا يستهان به من أبناء وطنه ولكنه رد بالحجة والبرهان أن من يكونون شعب المغرب من بربر وعرب وغيرهما قد صهروا في بوتقة واحدة وجمعهم الوطن الواحد والدين الواحد والمصير الواحد وان المفرق بينهم والمحيي للنعرات والحزازات عدو للجميع لا يبغي سوى التفرقة حتى يسود ويقود ويظل المتحكم في الجميع.

وكانت أوضاع شعب المغرب السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وأوضاع أشقاء الشعب المغربي في الشمال الإفريقي أو الشرق الأدنى والأقصى دافعة للزعيم **علال الفاسي** رحمه الله كي ينخرط بكليته في العمل الوطني التحريري واعتبار ذلك أولوية مطلقة وناله رحمه الله ما ينال كل وطني صادق ومناضل جسور وزعيم مقدام من تضييق واضطهاد انتهى به لكي ينفى من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى الغابون ومن هناك توالت نداءته المطالبة بالإستقلال والحرية ويعود إلى أرض الوطن في سنة 1946 ليجد الوعي الوطني قد ازداد وتفاعل فيه الشعب مع القيادة ممثلة في الملك المبرور **محمد الخامس** رحمه الله.

وكان لابد من إسماع صوت المغرب والتعريف بقضيته وكان لابد من التنسيق مع الأشقاء في **تونس والجزائر** فكانت **القاهرة** ملتقى زعماء الحركة الوطنية المغاربية من خلال **مكتب المغرب العربي** ولجنة تحرير المغرب العربي.

لقد كان **علال الفاسي** رحمه الله إلى جانب زعماء من تونس والجزائر الأصوات المطالبة بالاستقلال والتحرير ورحيل المستعمر من كل بلدان الشمال الإفريقي وكسبا للتأييد وتعريفا بالقضايا الوطنية وصل **علال الفاسي** ورفاقه إلى أقصى الشرق والى بلدان عدة أمريكية وأروبية.

لقد كان **علال الفاسي** رحمه الله وراء اندلاع الشرارة الأولى في مقاومة الاستعمار الفرنسي ومن أجل تحرير آخر شبر في المغرب وبقية بلدان شمال إفريقيا لم يعرف **علال الفاسي** رحمه الله للنضال والجهاد حدا لذلك نجده يبادر فيدعو إلى **مؤتمر طنجة** الأحزاب الوطنية المغاربية (الإستقلال والحزب الدستوري وحزب الشعب) ليعلن من هناك عن آمال شعوب المغرب العربي في التحرير الكامل وفي توحيد الجهود بطريقة أو بأخرى حتى تتجسم أمال الشعوب المغاربية.

لم يشغل العمل الوطني والنضال الحزبي **علال الفاسي** رحمه الله عن أن يكون حاضرا في ساحة الفكر والثقافة الإسلامية والدعوة إلى جمع شتات المسلمين وتوحيد جهودهم والتعريف بقضاياهم وتقديم المقترحات والحلول لمشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية عبر عن كل ذلك بجسارة وموضوعية وبعد نظر وعمق واجتهاد أصيل وصدع بآرائه السابقة لزمانها في ما عقد من مؤتمرات وندوات في **مكة المكرمة والقاهرة وتونس والرباط والجزائر** واختير لعضوية الهيآت العالمية الشعبية الإسلامية **كرابطة العالم الإسلامي** بمكة المكرمة إذ كان من أعضاء مجلسها التأسيسي وكان رحمه الله وراء بعث العديد من الهيآت التي انطلقت تعمل في مجالات اختصاصها **كرابطة الجامعات الإسلامية والاسيسكو** وغيرهما.

ومما يلفت النظر في جهد وجهاد الزعيم **علال الفاسي** رحمه الله انه غاص في كبريات القضايا الدينية والمسائل الفقهية الأصولية المقاصدية كما هو الحال في ما كتبه عن **مقاصد الشريعة الإسلامية** ومكارمها وهو في هذا التأليف ثاني إثنين بعد سماحة الشيخ **محمد الطاهر ابن عاشور** رحمه الله الذي ألف هو أيضا كتابا عن **مقاصد الشريعة**، و**علال الفاسي** ومحمد الطاهر بن عاشور رحمهما الله هما **المغاربيان ابنا القرويين والزيتونة والمالكيان** الذان ترسما خطى الإمام **الشاطبي** صاحب الموافقات المالكي أيضا وليس هذا بالغريب عن هذه الربوع المعطاء المبدعة من الجناح الغربي للعالمين العربي والإسلامي.

كما كتب **علال الفاسي** يدافع عن الشريعة ومميزاتها وتعادليتها واهتمامها بالروح والمادة معا والدنيا والآخرة في نفس الوقت، و**علال الفاسي** في دفاعه عن الشريعة ينفي عنها الشبهات ويجليها ويبديها ناصعة صافية رحمة من رب العالمين بعباده المؤمنين و**علال الفاسي** رحمه الله في دفاعه عن الشريعة داعية قوي إلى الاجتهاد في عصر فيه من المستجدات والمستحدثات ما لا بد أن يتصدى له العلماء الأعلام بتقديم الحلول والإجابات وتلك هي مهمة علماء المسلمين الذين يخصهم بحديث صريح يحملهم مسؤولياتهم أمام الله وأمام أمتهم إذ لا بد لهم في نظر **علال الفاسي** رحمه الله من مواكبة المستجدات وان يضيفوا إلى العلوم التي حصلوا عليها من الجامعات والكليات الشرعية مختلف علوم العصر وإلا فإنهم سيحكمون على أنفسهم بالجمود والتحجر والانغلاق وحينئذ تتعطل رسالتهم، كما أن **علال الفاسي** رحمه الله لا يوجد لديه موضوع من مواضيع الفكر والثقافة الإسلامية لا يمكن اقتحامه والكتابة فيه مهما كانت دقته فنجده يكتب عن **التصوف الإسلامي** وعن **علوم القرآن والتفسير** يقدم ذلك بنفس أصيل وفيه تجديد لطلابه في الجامعات المغربية والإسلامية التي استضافته وينشر ذلك لقرائه ويسخر لإشاعة ذلك ما لدى حزبه (الاستقلال) من إمكانات ومنابر سواء كانت الجرائد اليومية **كالعلم ولوبنيون** أو المجلات مثل مجلة **الإيمان** التي كان يصدرها رفيق دربه الزعيم المجاهد **أبو بكر القادري**، رحمه الله أو مجلة وزارة الأوقاف المغربية : **دعوة الحق** أو مجلة **رابطة الجامعات الإسلامية** أو المجلات الصادرة خارج المغرب كما هو الحال بالنسبة لمجلة (**جوهر الإسلام**) التي نشرت للزعيم **علال الفاسي** رحمه الله عديد المقالات والدراسات وكانت للزعيم **علال الفاسي** مشاركات في ملتقيات الفكر الإسلامي فقد قدم لهذه الندوة الإسلامية السنوية التي ظلت تعقد كل صائفة بإحدى المدن الجزائرية لعدة سنوات عديد الدراسات، من ذلك مثلا الدراسة القيمة التي عنوانها حديث عن التبشير المسيحي وبعض الوثنيات الطائفية الهندية.

وكتب **علال الفاسي** رحمه الله في مجال الفكر والثقافة الإسلامية عديدة لا تحصى منها : دراسة في المذاهب الاقتصادية، وبديل البديل، ولا شيوعية ولا رأسمالية، والوسائل العلمية لبعث إسلامي، وهل الإسلام في حاجة إلى فلسفة؟ والنظم والفكر الإسلامي، ونحو وحدة إسلامية، والإسلام وتحديات العصر، وأي الإسلام خير؟

وهو درس حسني ألقاه الفقيد بمناسبة شهر رمضان 1387 هجري، وتاريخ التشريع الإسلامي، والتصوف الإسلامي في المغرب، وعقيدة وجهاد.

وكل هذه البحوث والدراسات والكتب يخرج القارئ والدارس لها بان صاحبها من أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث وهو أيضا من المجددين المتابعين بيقظة وعمق لكل ما جد في الساحة الغربية من أفكار وآراء فقد تابعها ورد على ما يستحق الرد ونوه بما يلتقي مع الإسلام الأصيل، إسلام السماحة والاجتهاد والتفتح الواعي.

هذا هو عطاء **علال الفاسي** رحمه الله أو قل هذا بعض عطائه لأن الأشقاء في المغرب لا يزالون يخرجون علينا بالجديد المفيد من أعمال علال العلمية والفكرية والوطنية، انه عطاء شامل متكامل متعادل فيه ما هو محل اهتمام أشقاء **علال** من علماء وزعماء العالمين العربي والإسلامي وفيه ما هو محل اهتمام ومتابعة أبناء المغرب الأقصى خاصة ولهؤلاء رصيدهم ونصيبهم في أعمال **علال الفاسي** وآثاره من ذلك كتبه : حديث المغرب إلى المشرق، ونداء القاهرة، ومعركة اليوم والغد، والحماية في مراكش من الوجهتين التاريخية والقانونية، والنقد الذاتي، والمغرب العربي من الحرب العالمية إلى اليوم، والحركة الاستقلالية في المغرب العربي، والحرية ومنهج الاستقلالية، ودائما مع العشب، وكي لا ننسى، والانسية المغربية، وغير ذلك مما لا يسمح المجال باستعراضه ومما اطلعت على عناوينه ولم تصلني مادته من أعمال **علال الفاسي** رحمه الله.

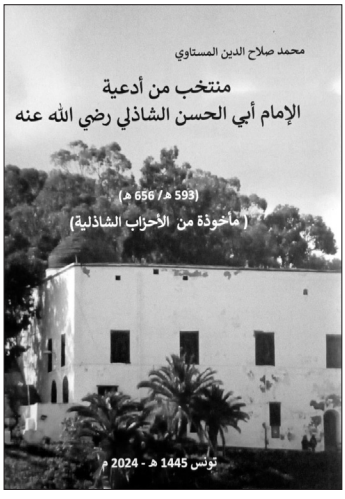

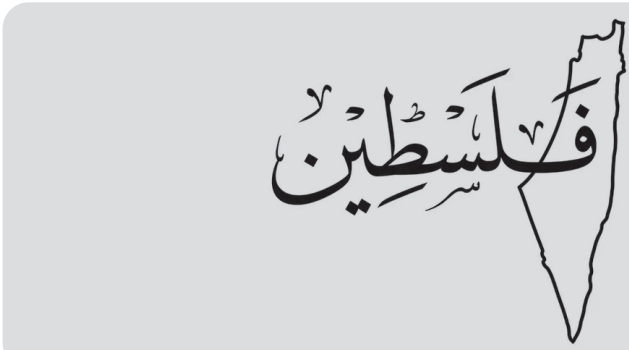

شعر الزعيم علال الفاسي ـ رحمه الله

ماذا اطيق من البيان الخالد ... من ذنب شعب لا محالة عائد؟
ماذا اقول عن العروبة جسدت ... في ذلك العربي الفدائي الصامد؟
ان كانت الأرض الحبيبة شردت ... ابناءها ايدى العدو الحاقد
فلها بكل نفوسنا وقلوبنا ... حرم يوجهنا لكعبة قاصد
انا نعيش لها نحس بلاءها ... وبلاء شعب صادق ومجاهد
ولها نناضل في سبيل وجودنا ... ببقائها رمز النضال الرائد
جبهاتنا كثر ولكن كلنا ... نسعى لتحقيق المثل الواحد
نسعى لتحرير العروبة كلها ... ونعيد مسرى احمد للحامد
ولبعث مجد المسلمين وعزهم ... وحضارة الاسلام أعظم شاهد
ولرد كيد الكائدين بنحرهم ... وبناء وحدة صفنا المتساند
أن الصهاينة الذين تالبوا ... متآمرين بنا تآمر جاحد
حلف الصليبيين يسند ظهرهم ... وهم للاستعمار أعظم رافد

والرأسماليون في كل الدنا قد عاقدوهم عقد لص كائد
ولذلك الثالوث يفعل فعله فينا كذئب للفريسة صائد
قد دس في أوطاننا اعوانه من كل مكار وكل معاند
فصلوا بنى افريقيا عن آسيا وبنوا صهيون قواعد مارد
اسفين اسرائيل يفصل بيننا ليكون قنطرة العدو الوافد
فتفرقت كلماتنا وتضاربت طبقا لأهواء العدو الراصد
وتعددت دول كما الشط رنج تملاه بيادق حاشد
من غرزته يد العدو تكونت منه الرياسة في النظام السائد
لولا تمزق أمتي ما سادها شذاذ آفاق العدو الماهد
ولما غدت إرض العروبة كلها قطعا تدين بشيخها المتعاهد
ترجو السلامة أن يمس حدودها حرب وتعجز عن سلام راشد
لولا فلسطين الحبيبة لم تفق اوطاننا بعد الزمان الراقد
لولا فلسطين العزيزة لم نعد لشعورنا بكياننا المتصاعد
انا ابتصرنا في قضيتها الحمى من دون حام مخلص ومساند
انا ابتصرنا قومنا، خذلانهم لبلادهم حظ العدو الصاعد
انا عرفنا المترفين وما جنوا كي يبلغوا قد الغنى القاعد
باعوا ضمائرهم وخانوا عهدهم لبلادهم وبنيهم، والوالد
شروا الضلالة بالهدى فكانما جعلوا النفاق شريعة المتعاقد
انا ابتصرنا الحاكمين وامرهم متفرق حسب الهوى المتباعد
مهما ادعوا من فكرة أو اسندوا من ثورة فالحكم حكم البائد
ابطال العروبة اسدها عند المغاور لم تبل بالصائد
اسد الكرامة والمواقع بعدها ومعودو الاعداء ثار العائد
كسروا القيود وحطموا اغلالها وغدوا طليعة عسكر متوافد
كانوا مثال الذائدين يسوقهم كسب القضية رغم انف الحاسد
شبان فتح والعروبة سرهم قد آمنوا بغد العروبة ماجد
ما ظن اسرائيل أن سيعيدها حربا عليهم كالجحيم المارد

ظنوا هزيمة ثلة لم يستطع ... زعماؤها تخطيط غزو حاشد
اتخذوا من الاعوان كل مرفه ... قمين بخط العاجز المتقاعد
ظنوا الهزيمة للزعامة اوقفت ... سيرا لتاريخ النضال الآبد
خابت ظنونهم فانا فتية ... وهبوا نفوسهم لنصر خالد
لن يفتح الشذاذ بعض ديارنا ... ويشردونا في الخلاء الشارد
فلسوف نصليهم جزاء فعالهم ... ببلادنا وبشعبنا المتساند
الثأر ناخذه ونحن جنوده ... سيرى العدو بنا اشد مطارد
والقدس ندخله نحرر اهله ... والمسجد الأقصى وركن الساجد
مهما تآمر حولنا من خائن ... أو واجهتنا نكبة من جاحد
أو حيل بين مرورنا ورجوعنا ... من خائف متآمر متعاقد
فلنا سبيل في البحار نشقها ... والجو نخرق بالشهاب الراصد
وبداخل الأرض الحبيبة أمة ... تلقى العدو بكل شهم حاصد
انا رجال الفتح ليس يصدنا ... مكر العدو وحلف كل مجاحد
ذقنا المرارة من اقارب ... اصبحت مثل العقارب ذات سم زائد
لكن ضحايانا العزيزة لم تكن ... إلا لتملأنا بعزم جاهد
ااخي لدى الأرض الحبيبة اننا ... سيان في قفص وقيد عاقد
ماذا اقول عن القضية بلورت ... كل القضايا في جهاد واحد
سيروا إلى الميدان نحن وراءكم ... نحو النضال إلى المصير الواحد
نحو البناء لوحدة عربية ... ومن الخليج إلى المحيط الذائد

الرباط 27 يناير 1973

مقدمة: تساؤلات في زمن الحيرة

بقلم الدكتور محمد البشاري
أمين عام المجلس العالمي للمجتمعات المسلمة

في زمن أصبح فيه الفرد محور الاهتمام المفرط، وحيث تنمو النزعات الفردية على حساب القيم الجماعية، يثور التساؤل: أين مكان الإيمان في عالم يغرق في المادية ويزداد اغترابًا عن جذوره الروحية؟ كيف يمكن للإنسان أن يجد معنى للحياة في ظل تسلط العبثية والعدمية التي تسلبه الأمل وتدفعه أحيانًا إلى هاوية الانتحار؟ وهل يمكن للبشرية أن تعيد البوصلة إلى الفطرة السليمة التي تربط الفرد بمجتمعه وخالقه، لتجد في هذه الصلة مفتاحًا لحياة كريمة وآمنة؟

هذه التساؤلات ليست جديدة، ولكنها تجد صداها بقوة في المبادرات العالمية التي تسعى إلى إعادة التوازن بين المادة والروح، بين الفرد والمجتمع، وبين الإيمان والعلم. ومن بين هذه المبادرات البارزة «وثيقة الرباط» التي جاءت ثمرةً لتعاون مشترك بين الرابطة المحمدية للعلماء ورابطة العالم الإسلامي، وتحت رعاية جلالة الملك محمد السادس نصره الله. هذه الوثيقة لا تكتفي بطرح الأسئلة الملحة، بل تقدم إجابات مدروسة مبنية على أسس إيمانية وإنسانية تهدف إلى إعادة الاعتبار للقيم الفطرية والإيمانية في حياة الإنسان.

وثيقة الرباط: قوة اقتراحية لعمل مشترك

«وثيقة الرباط» تأتي في وقت تعاني فيه المجتمعات العالمية من تدهور في القيم وتنامي مظاهر الفوضى الأخلاقية والانحلال القيَمي. فقد اجتمع ممثلون عن مختلف

الأديان والثقافات في مؤتمر دولي تحت عنوان «الإيمان في عالم متغير» ليؤكدوا على مركزية الإيمان في حياة المجتمعات. وهذه الوثيقة، التي تشكل ثمرة هذا التجمع، لا تمثل فقط دعوة إلى العودة إلى القيم الروحية، بل هي قوة اقتراحية لمواجهة الأزمات الحالية، من خلال عمل إجرائي مشترك يُفعل بنودها ويوجه الجهود نحو بناء عالم أفضل.

بنود الوثيقة: خارطة طريق للإنسانية

تشمل «وثيقة الرباط» مجموعة من البنود التي تحدد مسارات العمل المشترك لإعادة تفعيل القيم الإنسانية والإيمانية:

1/ مركزية الإيمان في بناء الحضارات: تؤكد الوثيقة أن الإيمان ليس مجرد طقس ديني، بل هو محرك أساسي لفهم الإنسان لذاته والعالم، وأن تجاهله يفتح الباب للفوضى الأخلاقية والانحلال القيمي.

2/ القيم الأخلاقية المشتركة: تشدد الوثيقة على أن القيم الأخلاقية، التي هي جزء من الفطرة الإنسانية وتدعمت بالرسالات السماوية، تبقى إطارًا مشتركًا لجميع المجتمعات، وهي التي تضمن الأمن والوئام المجتمعي.

3/ تكريم الإنسان وصيانة حقوقه: تدعو الوثيقة إلى الحفاظ على كرامة الإنسان وحقوقه، بغض النظر عن هويته الدينية أو العرقية، باعتباره شريكًا في بناء المجتمع وتنميته.

4/ التعاون بين الأديان والثقافات: تعد الدعوة إلى التعاون بين الأديان المختلفة أحد أبرز ما جاء في الوثيقة، بهدف تعزيز الوئام العالمي وتحييد خطابات الكراهية والصراع.

5/ العمل الإنساني الشامل: الوثيقة تطالب بتوجيه العمل الإنساني ليكون خاليًا من التحيزات العرقية أو المصلحية، بحيث يخدم الإنسانية جمعاء دون تمييز.

6/ تعزيز السلم العالمي: تدعو الوثيقة إلى إقامة مشاريع تنموية وإغاثية حول العالم تخدم البشرية وتحقق السلام والاستقرار.

المبادرة: أمل في مواجهة التحديات

«وثيقة الرباط» لا تكتفي بتقديم الرؤى الفلسفية، بل تدعو إلى تفعيل بنودها بشكل عملي وإجرائي من قبل الفاعلين في مجال الشأن الديني والروحي. وهي بذلك تعتبر قوة اقتراحية تدعو القادة الدينيين والسياسيين إلى تحمل مسؤولياتهم في تحويل المبادئ إلى ممارسات فعلية تخدم الإنسانية وتدفع باتجاه مستقبل مشترك قائم على العدل والكرامة.

الخاتمة: هل تكفي الوثائق؟

في خضم التحديات العالمية التي تواجهها البشرية اليوم، يبقى السؤال مطروحًا: هل تكفي الوثائق والمبادرات وحدها لإحداث التغيير المنشود؟

هل يمكن أن تجد «وثيقة الرباط» طريقها إلى التنفيذ العملي، أم ستبقى حبيسة النقاشات الفكرية؟ الجواب يكمن في إرادة الفاعلين وقدرتهم على تحويل المبادئ إلى أفعال.

ومع ذلك، يبقى الأمل قائمًا، فهذه الوثيقة لم تأتِ من فراغ، بل هي نتاج تعاون مشترك بين مؤسسات دينية كبرى كـ الرابطة المحمدية للعلماء ورابطة العالم الإسلامي، وتحت رعاية ملكية تعي جيدًا أهمية الدور الذي يلعبه الدين في توجيه المجتمعات نحو الخير.

ومن هنا، يمكننا القول إن «وثيقة الرباط» تمثل خطوة في الاتجاه الصحيح، وهي بمثابة دعوة إلى العودة إلى الجذور الإيمانية التي تعيد للإنسان الأمل في الحياة وتذكره بأن الهدف النهائي للحياة هو الوصول إلى الخالق العادل الرحيم.

البصمة الوراثية وأثرها في نفي النسب أو إثباته دراسة فقهية مقارنة

الدكتور محمد مصطفى أحمد شعيب

مدير البحوث والدراسات بمجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة

البصمة الوراثية بما تمثله من دلالة يقينية على ذات الإنسان، واشتمالها على ما يدل على هويته وكينونته، أحدثتْ فارقًا جوهريًا في العصر الحديث، ومثلتْ دليلًا قاطعًا في كثير من القضايا الجنائية التي احتارت فيها العقول، واختلطت فيها الأوراق، وتشابكت فيها الأدلة، أو لعبت فيها الأصابع الخفية، فكانت البصمة الوراثية دليلًا قاطعًا في الإشارة إلى الجاني، وتحديد هويته، وإزالة الحيرة عن عقول المحققين والقضاة، ومن ثم إغلاق الكثير من القضايا وصدور أحكام نهائية قطعية فيها، كما تكون البصمة الوراثية عاملًا رئيسًا في تحديد هوية القتلى وذواتهم في كثير من حالات الحروب والكوارث الكبرى، واختلاط القتلى وتشوه الجثث أو تقطيع أجزائها وضياع ملامحها؛ كل ذلك يدلل بوضوح على الأهمية البالغة للبصمة الوراثية، ومدى الحاجة إليها في العصر الحديث.

إضافة إلى أن دراسة موضوع البصمة الوراثية وأثرها على الأنساب وبيان موقف الشرع الإسلامي منها، له دلالته على كمال هذه الشريعة وشمولها لكل ما يستجد من مسائل، أو ينزل من نوازل، وقد قال الله جل وعلا: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ**

شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: 89)، وقال تبارك وتعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾** (المائدة: 3).

فضلًا عن مواكبة ما يشهده العالم المعاصر من تطور هائل في مجال الطب والعلوم، وما تبع ذلك من اكتشافات لخبايا الخلايا البشرية وأسرارها، وما أودعه الخالق العليم الخبير سبحانه من آيات في جسم الإنسان، كما قال جل وعلا: **﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾** (الذاريات: 21)، وقوله جل وعلا: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** (فصلت: 53)، وقوله سبحانه وتعالى: **﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾** (الطارق: 5- 7)، ودراسة هذه التطورات والاكتشافات والأسرار والآيات مما يزيدنا إيمانًا بأننا لم نخلق عبثًا، ولم نترك سدىً، كما أن دراسة تلك النوازل والاكتشافات تمكننا من الوصول للأحكام الشرعية المناسبة، والنتائج السليمة، والحلول الملائمة لزماننا ومجتمعاتنا، والمتوافقة مع نصوص الوحي المطهر من الكتاب والسنة.

يضاف لذلك أن حفظ النسل وما يتبعه من حفظ النسب يعد مقصدًا من المقاصد الخمس الكبرى التي جاءت بها الشريعة الغراء، ولأجله شَرَعَت الزواج بين الرجل والمرأة وباركَت النسل الذي هو ثمرة تلك العلاقة، قال جل وعلا: **﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾** (النحل: 72)، وقال سبحانه وتعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾** (الفرقان: 54)، والبصمة الوراثية لها تأثيرها البالغ في إثبات ذلك النسب أو نفيه في حياتنا المعاصرة، وكم من قضايا النسب التي طرحت ولا تزال تطرح في المحاكم في بلادنا العربية والإسلامية، ويكون للبصمة الوراثية وتحليل الـ DNA الأثر البالغ والنصيب الأكبر في إغلاق تلك القضايا، وبيان القول الفصل فيها، مما يشير بوضوح وجلاء إلى أهمية دراستها ومعرفة حكم الشرع فيها نفيًا أو إثباتًا.

وموضوع الندوة الحالية الذي نحن بصدده هو استخدام البصمة الوراثية في نفي النسب أو إثباته، مدى مشروعية ذلك، ومدى تأثيره على حفظ الأنساب واستقرار المجتمعات والأسر، وهذا ما أحاول بيانه في هذا البحث الموجز بإذن الله تعالى.

الخاتمة:

وفيها خلاصة البحث وأبرز النتائج وأهم التوصيات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه خاتمة هذا البحث الموسوم بـ (البصمة الوراثية وأثرها في نفي النسب أو إثباته دراسة فقهية مقارنة) وأهم نتائجه هي:

• **البصمة الوراثية هي المادة الـمُورَّثة الموجودة في الخلايا البشرية، ويمكن من خلالها تحديد هوية الإنسان عن طريق تحليل جزء من أجزاء الحمض النووي المتمركز في نواة أي خلية من خلايا جسمه.**

• **للبصمة الوراثية خصائص تميزها عن غيرها من الأدلة الجنائية، ومن أبرز تلك الخصائص**: (انفراد تلك البصمة واختصاصها بصاحبها، وتعدد مصادرها وتنوعها، ومقاومتها عوامل التحلل والتعفن، وسهولة الحصول والتعرف عليها وحفظها وتخزينها، ووجودها في كل خلايا الإنسان منذ لحظة تكوينه واستمراراها معه طوال حياته وبعد مماته).

• **للبصمة الوراثية استخدامات عددية، أبرزها**: (استخدامها في الطب الشرعي لتحديد هوية الجناة أو الضحايا، وفي تحليل الخلية لاكتشاف الأمراض وعلاجها، وفي التعرف على هوية المفقودين، والتعرف على المزورين ومنتحلي شخصيات الآخرين، وتحديد هويات الأطفال عند الاختلاط والاشتباه، وفي الفصل في المشاكل والقضايا والدعاوى الجنسية المختلفة، وفي نفي النسب أو إثباته).

• **للعمل بالبصمة الوراثية واعتماد نتائجها ضوابط شرعية وفنية يجب مراعاتها، وهذه الضوابط هي**: (أن تكون بطلب من القضاء، وبإذن الجهات المعنية وأصحاب العلاقة، وأن تتم المحافظة على خصوصية الأشخاص موضوع الاختبار، وأن تكون المختبرات تابعة للدولة أو تحت إشرافها، وأن تتوفر في المختبرات الشروط والضوابط العلمية والطبية التي يجب مراعاتها في هذا المجال محليًا وعالميًا، وأن يكون العاملون في تلك المختبرات والمشرفون عليها مؤهلين علميًا وأخلاقيًا، وألا يكون لأي منهم صلة قرابة أو صداقة أو عداوة أو منفعة مع أحد المتداعيين، وألا يكون قد حكم على أحد منهم بحكم مخل للشرف أو للأمانة، وأن يتم عمل تحليل البصمة الوراثية في أكثر من مختبر، مع مراعاة ألا يوجد أي رابط أو علاقة بينها، وتوثيق كل خطوة من

خطوات تحليل البصمة بدءًا من أخذ العينات، ونقلها، وحفظها، إلى ظهور النتائج النهائية، وعمل البصمة الوراثية بأكبر عدد ممكن من العينات والأحماض الأمينية لضمان صحة النتائج المستخلصة والوصول لأفضلها، وألا تخالف نتائج البصمة الوراثية العقل والمنطق والحس، وألا يخالف استعمال البصمة الوراثية نصاً شرعياً من الكتاب أو السنة، وتكوين لجنة خاصة بالبصمة الوراثية في كل دولة، يشترك فيها المتخصصون الشرعيون، والأطباء، والإداريون، وتكون مهمتها الإشراف على مراحل تحليل البصمة الوراثية، واعتماد نتائجها).

• **هناك طرق شرعية لإثبات النسب، بعضها متفق عليها، وبعضها مختلف فيه، فالمتفق عليها هي: النكاح (الفراش)، والبينة (ومنها الشهادة)، والإقرار (الاستلحاق)، والاستفاضة والاشتهار، والمختلف فيها هي: القيافة، والقرعة.**

• **لإثبات النسب آثار ومزايا عديدة، من أبرزها:** (حفظ الوجود البيولوجي للإنسان، وترتب الحقوق والواجبات ومعرفة المسؤوليات المختلفة، وثبوت الإرث لصاحب النسب من وريثه، وتحريم الوصية له من المورث إلا بإقرار باقي الورثة وعدم مجاوزتها الثلث، وتحمل الدية على العاقلة ممن ثبت انتسابه لهم، وثبوت الأحكام المترتبة على الزوجية في الإسلام، والحفاظ على كيان الأسرة، وحفظ شجرة الأنساب فيها من الاختلاط، وما يتبعه ذلك من المحافظة على النسيج الاجتماعي للأمم والمجتمعات).

• **من البينات المقبولة في قضايا إثبات النسب في حال التنازع أو الاشتباه:** استعمال البصمة الوراثية لمعرفة النسب الصحيح للطفل المتنازع عليه، كمجهول النسب، أو اختلاط المواليد في المستشفيات، أو اختلاط البويضات والحيوانات المنوية في مراكز التلقيح الاصطناعي، أو ضياع الأطفال واختلاطهم بسبب الحروب أو الكوارث، وفي التحقق من الجثث مجهولة الهوية، ونحو ذلك من صور النزاع أو الاشتباه. **أما عند عدم وجود التنازع أو الاشتباه،** فلا ينبغي التشكيك في الأنساب، وثبوتها يكون بالطرق الشرعية المتفق عليها، وأقواها الفراش، وهو الأصل، ويتبعه الإقرار والبينة ومنها الشهادة، والاستفاضة، والقيافة، فالنسب يثبت بأي طريق من هذه الطرق، ولا نلجأ للبصمة الوراثية إلا عند تعذر إثباته بطريق من تلك الطرق، أو عند الاشتباه والتنازع، ولا تقدم نتائج البصمة الوراثية إلا على القيافة فقط، لأنها ظنية محتملة، والبصمة نتائجها يقينية مؤكدة.

• **يُفرَّق في نفي النسب بين الفراش وغيره، فإذا كان طلب نفي النسب من الزوج فلا يشرع له إلا اللعان، وإذا كان نفي النسب في غير الفراش، كما في وطء الشبهة أو المغتصبة ونحوهما،** فينتفي النسب بالبينة، ومنها البصمة الوراثية، فلا مانع من اللجوء للبصمة الوراثية في حالات الاغتصاب ووطء الشبهة ونحوها، لأنه لا يوجد في هذه الحالات نسب ثابت ولا مستقر، فلا يوجد فراش، ولا إقرار، ولا استفاضة، ويلجأ عندها للبصمة الوراثية وهي من جملة البينات، ولا يوجد مانع شرعي يمنع من ذلك.

• **لإعمال البصمة الوراثية عند الاشتباه والتنازع أدلة من النصوص الشرعية والقواعد الفقهية والقياس والمعقول، وقد أوردها البحث مع بيان وجه الدلالة منها.**

• **في حال استقرار النسب وثبوته، ووجود الزوجية، لا نرجح إجراء البصمة الوراثية فور الولادة وقبل أو عند تسجيل الولد؛** لأن السماح بالبصمة الوراثية في هذه الحالة ذريعة إلى التشكيك في الأنساب، ومدخلًا لهدم الأسر، وضياع الأنساب، لكن في حالات النزاع، والاشتباه، لا مانع من عمل البصمة الوراثية بضوابطها الشرعية والفنية لفض النزاع، ونزع الاشتباه، والله تعالى أعلم.

ويوصي البحث بما يلي:

1– على المتخصصين إعداد محاضرات وندوات علمية متخصصة في البصمة الوراثية لتوعية أفراد المجتمع بأهميتها ودورها الفعّال في حسم منازعات النسب أمام المحاكم.

2– على وزارات الصحة والجهات الرقابية أن تضع آليات دقيقة لمنع الانتحال والغش فيما يتعلق بالبصمة الوراثية بداية من أخذ عيناتها، ومرورًا بحفظها ومنعها من التلوث والاختلاط، ووصولًا إلى الدقة في تحليلها والوصول إلى النتائج الصحيحة.

هذا ما يسر الله سبحانه وتعالى من البحث والدراسة لمسائل هذا الموضوع الهام والخطير، وهو جهد المقل، وما كان فيه من صواب فهو من الله جل وعلا، وما كان فيه من نقص وخلل فهو من نفسي، وهي بالنقص أولى وأجدر، وحسبي أني بذلت وسعي، واجتهدت قدر استطاعتي لبلوغ الجادة، والله المستعان، وعليه التكلان، ولله الحمد أولًا وآخرًا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

نتائج وتوصيات مؤتمر البصمة الوراثية

عقدت كلية الدراسات الإسلامية بجامعة حمد بن خليفة يومي 29–30 ربيع الأول من عام 1446، الموافق ب 2–3 من أكتوبر 2024 مؤتمراً بعنوان «دور

البصمة الوارثية في المجتمعات المعاصرة- دراسة نفي وإثبات النسب فقهياً واجتماعياً وقانونيا». وقدم الأساتذة المشاركون من دول ومؤسسات علمية مختلفة أكثر من ثلاثين ورقة بحثية علمية في الموضوع، أعقبها المشاركون بأسئلة وتعليقات. ويمكن تخليص نتائج المؤتمر وتوصياته فيما يلي:

* تعدّ البصمة الوراثية من أهم الاكتشافات العلمية متعددة الاستخدامات، ومنها مسألة نفي النسب وإثباته.

* الشارع الحكيم تشوّف لإثبات النسب وتوسّع في وسائل إنباته وتشدد في طرق نفيه، وذلك حرصاً منه على صيانة كرامة الإنسان والأسرة والمجتمع. وهذا يدل من حيث المبدأ على إمكان تبني البصمة الوراثية كطريقة إضافية من طرق إثبات النسب إن سلم ذلك عن الأضرار النفسية والاجتماعية.

* لا يمكن اللجوء إلى الطرق العلمية الحديثة لنفي النسب إلا بعد استنفاذ الطرق الشرعية والتقليدية.

• أجاز فقهاء الشريعة المعاصرون العمل بالبصمة الوراثية كقرينة لإثبات النسب أونفيه ولكن ضمن شروط وضوابط شرعية واجتماعية يجب الالتزام بها.

* ليس ثمة ما يمنع شرعا من المقترح الداعي لأخذ الدولة للبصمة الوراثية على سبيل الهوية الجينية للمواليد الجدد، أو جميع المواطنين، شريطة الاحتفاظ بها وعدم إشاعتها أو إعطائها للوالدين. ووجه المصلحة في ذلك هو تمكن الدولة من التعرف على مواطنيها جينياً في حال الحاجة إلى ذلك. كما في حال سقوط الضحايا نتيجة الكوارث والحروب، أو لأجل الاستخدام الجناني. أو لتقديم العون الطبي اللازم.

* يمكن الاستناد إلى البصمة الوراثية في إثبات المسؤولية الجنائية للزاني أو المغتصب: أما إلحاق الولد المتولد عن فعل الزنا والاغتصاب بالرجل المتولد من مائه فهو مخالف لما ذهب إليه عامة الفقهاء. ولا يمكن أن يعدّ خروجا عن رأي الفقهاء في هذا القول بالزام هذا الرجل بالمسؤولية المالية عن الوليد إلى حين حصول ما يستدعي قطع النفقة عنه بحسب أحكام الشريعة في النفقات.

* الحاجة إلى قيام التنسيق العلي بين فقهاء العصر ورجال القانون من أجل تقنين المسائل الفقهية المتعلقة بالموضوع رجاء رفع التنازع في المسألة على مستوى الدولة الواحدة

الملتقى العالمين للتصوّف في دورته التاسعة عشرة الذي نظمته الطريقة القدرية البودشيشة بمداغ المغرب

التوصيات الصادرة عن أشغال الملتقى العالمي للتصوف في دورته التاسعة عشرة مداغ المغرب (1446 هـ/ 2024 م):

أولا: التشجيع على الانفتاح الإيجابي على تطبيقات الذكاء الاصطناعي لما يتيحه من إمكانيات هائلة في شتى الميادين العلمية والمعرفية والمهنية.

ثانيا: ضرورة خلق مرجعية معرفية وقيمية للوعي بالذكاء الاصطناعي في البرامج التعليمية والتحسيس بفوائده ومخاطره، حتى نستثمره في صناعة نهضة تنموية رائدة تضمن التقدم لأمتنا بين الأمم.

ثالثا: التعاون والتشارك في اقتراح ميثاق أخلاقي يكون دليلاً ومرشداً لمطوّري هذه التقنيات وعوناً لهم على التجاوب مع مقتضيات الأخلاق ومتطلبات الإبداع والابتكار.

رابعا: وضع معايير وضوابط قانونية وأخلاقية تضمن منع وقوع الضرر على الأفراد والمجتمعات من قبل الشركات المطورة لتطبيقات الذكاء الاصطناعي.

خامسا: تكثيف الجهود والتنسيق بين سائر الفاعلين والمؤسسات من أجل تنمية أخلاقيات وقيم مشتركة تتعلق بتجاوز أهم التحديات التي يفرضها العالم الجديد للذكاء الاصطناعي.

سادسا: دعوة المعنيين، من علماء ومدراء الشركات والمسؤولين الحكوميين وغيرهم، إلى التعاون في توسيع دائرة الاستفادة والاستنفاع بهذه التقنيات والتقليل من مخاطرها.

سابعا: ضرورة خلق برامج تكوينية لفائدة المشتغلين بالحقل الديني في مجال الذكاء الاصطناعي من أجل معرفة تطبيقاته وكيفية التعامل معها، والمساهمة بمضامين دينية وشرعية يُغنون بها مضمون قواعد البيانات التي يستثمرها الذكاء الاصطناعي.

ثامنا: تنبيه أصحاب الضمائر الحية إلى وجوب مقاومة نزعات الشطط التكنولوجي، الذي يتأتى من كون تقنية الذكاء الاصطناعي لا تفكر ولا تعرف مانعا ولا كابحا.

تاسعا: استثمار تطبيقات الذكاء الاصطناعي لتعزيز أواصر التواصل بين الطرق الصوفية الأصيلة وخلق فرص للتعاون ومد الجسور فيما بينها لمجابهة التحديات التي تُطرح على التصوف والقيم الأخلاقية التي ضحى شيوخ التربية في غرسها وترسيخها في المجتمع.

إعلان مداغ حول الذكاء الاصطناعي

ارتباطا بما يشهده العالم اليوم، من تطور هائل في مجال التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، التي أصبحت تؤثر بشكل متزايد على مختلف جوانب الحياة الإنسانية؛

وتفاعلا مع ما فتحته هذه التكنولوجيا من أبواب واسعة لتغيير نمط التصرف البشري، وعلاقته بالعالم الرقمي؛

واعتبارا للفرص الكبيرة للذكاء الاصطناعي، تبرز تحديات جديدة تتعلق بالمسؤولية الأخلاقية، والإنسانية في استخدام هذه التكنولوجيا؛

وأخذا بعين الاعتبار، تطور الذكاء الاصطناعي الذي جعله ليس مجرد أداة تقنية، بل مجالا يطرح أسئلة عميقة حول القيم التي يجب أن نلتزم بها في تطويره واستخدامه؛

وفي ظل التحول الكبير، نجد أنفسنا أمام مسؤولية كبيرة تتطلب منا الوقوف مع الذات والتفكير في كيفية الاستفادة من هذه الأدوات بطرق تسهم في تحقيق الخير للإنسانية، مع تجنب الإضرار بها أو استغلالها لأغراض غير مشروعة.

واستنادًا إلى تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، الذي يدعو إلى الإحسان والتزكية؛

وتماشيا مع المشتركات القيمية العالمية؛

واعتبارا لمسؤوليتنا تجاه أنفسنا، وتجاه مجتمعاتنا، وتجاه الأجيال القادمة، التي تفرض علينا التحلي بالمسؤولية الكاملة في التعامل مع هذه التكنولوجيا؛

واستشعارا لتحديات الذكاء الاصطناعي، الذي بقدر ما يمكن أن يكون قوة عظيمة للخير والازدهار، يشكل خطورة على وجود النوع البشري، في حال استخدامه خارج دائرة القيم الأخلاقية الراسخة، التي تحمي إنسانية الإنسان،

وانطلاقًا من روح التعاون التي يدعونا إليها ديننا الحنيف؛

نعلن، نحن، المجتمعين، في الدورة التاسعة عشرة، من الملتقى العالمي للتصوف، بالزاوية العامرة للطريقة القادرية البودشيشية، بمذاغ، في ضوء تشريف الله تعالى للإنسان بالعلم والعقل والمعرفة، مصداقا لقوله تعالى : «وعلم الإنسان ما لم يعلم»، وأن المعرفة فعل القلب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

وبناءً على المبادئ المستمدة من مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة التي تدعو إلى حفظ الكليات الخمس والحرص على الخير العام، نعلن عن ضرورة وضع أسس أخلاقية تحكم تطوير واستخدام الذكاء الاصطناعي بما يحقق رفعة الإنسان وخدمة المجتمع في إطار من المسؤولية والوعي، ونقر ما يلي:

1. القيم الأخلاقية وازع لمخاطر الذكاء الاصطناعي وانحرافته

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» الحديث إن كل تكنولوجيا تُطور يجب أن يكون وازعها القيم الأخلاقية، فلا يجوز بأي حال من الأحوال استخدام الذكاء الاصطناعي للتعدي على حقوق الإنسان أو الإساءة إليه بأي صورة من الصور.

2. الحياد والانصاف:

إننا ملتزمون بتطوير واستخدام الذكاء الاصطناعي بطريقة تضمن الحياد والانصاف بين جميع الأفراد، دون أي تمييز بناءً على الجنس، العرق، الدين، أو الوضع الاجتماعي، وندعو مطوري أنظمة الذكاء الاصطناعي إلى استحضار مبادئ الإنصاف والمشترك الإنساني.

3. الشفافية والمساءلة:

إن استخدام الذكاء الاصطناعي يتطلب شفافية تامة في كيفية اتخاذ القرارات، ووضع آليات مؤسساتية وبنيات قانونية للمساءلة عن أي أخطاء أو انتهاكات تحدث نتيجة سوء استخدام الذكاء الاصطناعي.

4. حماية الخصوصية:

﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ (الحجرات: 12). يجب أن تلتزم أنظمة الذكاء الاصطناعي بحفظ خصوصية الأفراد وحماية بياناتهم من أي انتهاك أو إساءة استخدام، فلا يجوز جمع البيانات أو استخدامها إلا بما يحقق المصلحة العامة ويحافظ على حقوق الأفراد.

5. التزكية والتطوير الأخلاقي:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ (الشمس: 9). إن تطوير الذكاء الاصطناعي يجب أن يتم بروح التزكية، لجعل التكنولوجيا وسيلة لتحقيق الخير والإصلاح، وتجنب إلحاق الضرر بالمجتمع أو البيئة.

6. الاستدامة وحفظ الأمانة:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (سورة النساء: 58)، استحضار البعد الائتماني الاستخلافي في استخدام الذكاء الاصطناعي، بطرق تحافظ على بقاء النوع البشري، والموارد الطبيعية وتساهم في الحفاظ على البيئة، بما يحقق مبدأ الاستدامة للأجيال القادمة.

7. التعاون من أجل الخير العام:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَى (المائدة: 2). يجب أن يكون الهدف الأسمى للذكاء الاصطناعي هو خدمة الإنسان، وتحقيق التقدم العلمي بما يساهم في تعزيز رفاهية المجتمعات، ويعزز من القيم الإنسانية العليا، وبما يحفظ إنسانية الإنسان.

نعاهد الله ونعاهد أنفسنا على الالتزام بهذه المبادئ الأخلاقية المستمدة من شريعتنا الغراء والقيم العالمية، ساعين بذلك إلى استخدام الذكاء الاصطناعي في خدمة الخير العام، آخذين بعين الاعتبار مسؤوليتنا أمام الله وأمام البشرية جمعاء.

اللغة... والهوية....

بقلم الأستاذ إبراهيم الربو (ليبيا)

لكل أمة هويتها الثقافية وأصالتها المبنية على عدد من الثوابت الدينية والاجتماعية، وإذا كانت مكونات تلك الهوية وأركان تلك الأصالة هي من التعدد والاندماج بحيث لا يمكن الفصل بينها ، لأن الهوية مجموعة من العناصر التي يلتقي فيها الديني بالثقافي بالفكري بالاجتماعي والتاريخي بدرجة يصعب تفتيتها أو تغليب إحداها على الآخر ، ومع ذلك تظل اللغة هي الوعاء الذي تنصهر فيه كل تلك العناصر وإن بدرجات متفاوتة لأنها وسيلة التعبير ووعاء التفكير وقناة التواصل ، وبدونها لا يمكن بناء مجموعات بشرية متعارفة ومتعاونة ،، وهكذا تتربع اللغة في قمة هرم الهوية لأي أمة ، وتزدهر اللغة وتسمو وتحتل منزلتها بقدر اهتمام أهلها بها واعتزازهم بانتسابهم لها وانتسابها لهم ، وإدراكهم بأن أي تشويه لصورة اللغة يمكن أن يكون تشويها لمجتمع بكامله وأمة بأسرها.

وإذا كان من المتعذر اليوم أن نحصي لغات شعوب الأرض ولهجات مجتمعاتها وجماعاتها ، لكننا تدرك أن هناك لغات هي من القوة والانتشار أكثر من سواها بحيث اكتسحت الساحة الفكرية والثقافية في عالم اليوم ، وما ذلك إلا لاهتمام أهلها بها ، وعملهم من أجل تألقها ، وأخذهم بأسباب التقدم العلمي الذي مكن للغاتهم ذلك الانتشار بحيث أصبحت اليوم مفاتيح لا غنى عنها لمن أراد أن يلج ميادين العلم والتقنية والفكر والثقافة.

ونحن أمة تغطي مساحة جغرافية تمتد من سومطرة إلى طنجة ومن قروزني إلى دار السلام ، أكرمنا الله بالإسلام ، وأعزّنا به ، وأودع فينا كتاباً لا يأتيه الباطل من

بين يديه ولا من خلفه ، واختار له من بين كل لغات العالم اللغة العربية ليحفظه بها ويحفظها به ، فأنزله بلسان عربي مبين ،، إنه التكريم الإلاهي للغة العربية دون سواها، وهكذا كرمت اللغة العربية دون سواها » وحظيت دون غيرها بذلك الشرف الذي حباها اللّه به واختارها له ،، ولكن الواقع أن أهلها كانوا دون ذلك الشرف ، وأدنى من تلك المكرمة ، وليس أدل على ذلك مما نراه ونسمعه في جل وسائل الإعلام بأنواعها من عبث باللغة العربية واعتداء على أبسط قواعدها ، واستهانة واستخفاف بمقوماتها نحوًا وإملاء وأسلوباً ،، مع الجنوح لاستخدام اللهجات المحلية وتغليبها على القوالب الفصيحة ، وأحيانا استخدام التعبيرات الأجنبية وفق اشتقاقات عربية لتخرج علينا كائنا مشوها ممسوخا !!

هذا الكلام لا يعنى البتة التقليل من أهمية تعلم اللغات الأجنبية ، فتعلمها أمر في غاية الأهمية شريطة ألا يكون على حساب اللغة الأم ،»، فتعلم أي لغة أجنبية يعني لمتعلميها نافذة جديدة. يطلون منها على ثقافة تلك اللغة وترانها ، وتكون مصدر ثراء علمي وثقافي لمن يتعلمونها

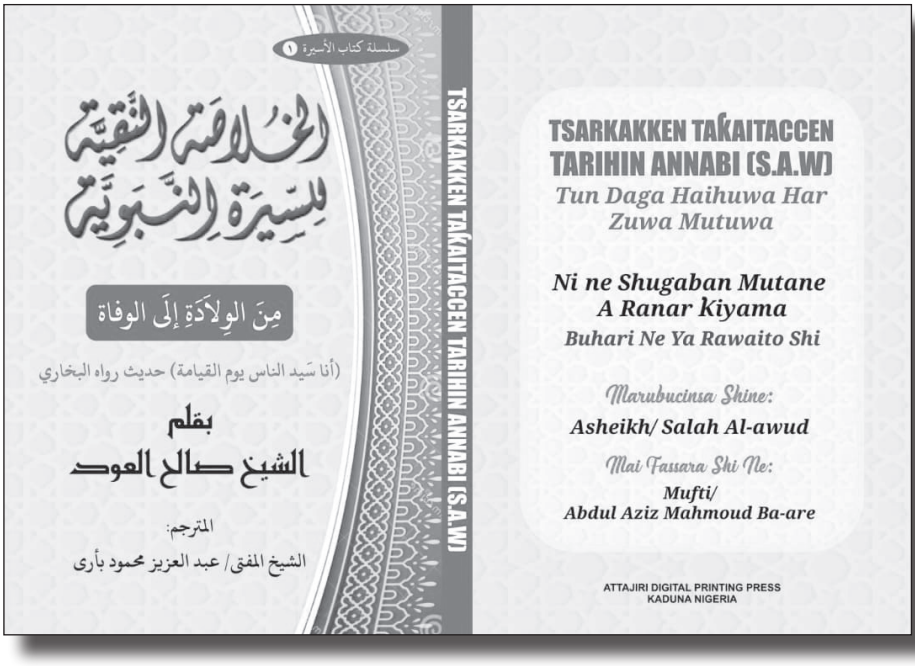

خطبة الجمعة

واجب الآباء والأمهات في الرعاية الشاملة (المادية والروحية) للأبناء والبنات[1]

الحمد لله الذي خلق فسوّى وانعم فوفّى وأرشد وهدى وجعل من الذكر والانثى البنين والبنات الذين هم من زينة الحياة الدنيا.

وأشهد أن لا اله إلا الله لا ربّ سواه ولا معبود غيره نحمده ونشكره ونستزيد من نعمه التي لا تحصى وأجلها نعمة الايمان والهداية إلى الصراط المستقيم صراط من جعلهم من عباده الصالحين الذين شرح صدورهم للإسلام وهداهم إلى اتباع سيد الأنام عليه الصلاة والسلام.

وأشهد أن سيدنا محمّدا عبده ورسوله ومجتباه بعثه للناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الابرار من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين صلاة وسلاما يستغرقان العدّ يتضاعف ثوابهما في كلّ آن وحين يتحقق بهما الامتثال لأمره جلّ وعلا الذي بدأ به نفسه وثنى بالملائكة فقال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**)

وأوصيكم عباد الله بما أوصي به نفسي وأذكركم وأذكر نفسي فإن الذكرى تنفع المؤمنين بالتزوّد إلى دار البقاء بخير زاد (**وتزوّدوا فإن خير الزّاد التقوى**)

أما بعد ايها المسلمون فإن تربية الأبناء ورعايتهم وتوجيههم من طرف الاباء والامهات من أوجب الواجبات تدخل ضمن مسؤولية من استخلفهم الله في الأرض – وهي تشريف- أمر الله تبارك وتعالى ملائكته المقربين بالسجود لأبيهم آدم- سجود تشريف وتكريم وتفضيل وهو ما يقتضي من الإنسان تحمل مسؤوليته أمام الله عن ما يأتيه ويدعه من الأقوال والافعال (فكل اولئك كان عنه مسؤولا) ومسؤوليته نحو من هو

(١) نص خطبة الجمعة التي ألقاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي في جامع المركب الإسلامي بالبحيرة 1 بتاريخ 18/ 10 / 2024 .

سبب في وجودهم بعد الله– أعني الأبناء والبنات الذين يمنّ الله تبارك وتعالى بهم علينا فيجعلهم قرّة اعين لنا وامتدادا بعد رحيلنا إلى دار البقاء– للعمل الصالح الذين يلحقنا به الثواب والجزاء كما جاء في الحديث الشريف (**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولدٍ صالح يدعو له وعلم ينتفع به وصدقة جارية**) ولن يكون أبناؤنا من بعدنا صالحين يلحقنا مما ياتونه من العمل الصالح الأجر والثواب إلا متى قمنا بمسؤولياتنا تجاههم فقد ورد في الحديث الشريف (**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**) والأبناء والبنات هم رعية لأبائهم ولأمهاتهم ان هم قاموا بهذا الواجب نالهم الثواب والاجر ويكونون قد أدوا ما أوجب الله عليهم من تربية وتوجيه.

فالاباء والامهات هم القدوة والاسوة للأبناء والبنات جعل الله تبارك وتعالى – تلك الاسوة والقدوة جبلة في الأبناء والبنات خصوصا في المرحلة المبكرة من أعمار هم الذين يولدون على الفطرة – أي على السلامة والاستقامة والابوان هم من يكتبون في صحائف أبنائهم وبناتهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**يولد الولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**)

أي في كل الأبناء والبنات بما فيهم أبناء غير المسلمين ممن لم يبلغوا سنّ الرشد فيهم قابلية للخير وللفضل وللخلق الكريم– لأنّ كلّ ذلك ليس فيه أدنى ضيق أو حرج – يهتدي الإنسان إلى ذلك جبلة– فيكون ميالا إلى الخير.

والانحراف عن الفطرة والسلامة والاستقامة وقل الهداية إنما يأتي من المحيط القريب جدّا – ثم من بقية الاطراف الاخرى في المجتمع. المحيط القريب جدّا للأبناء والبنات هم آباؤهم وأمهاتهم– مصداقا لقول الحكيم (وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده ابوه) وقول الاخر (الام مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الاعراق).

والواقع يشهد والتاريخ يؤكد أن من خلّد ذكرهم ممن صلحت أعمالهم وجرى على ايديهم الخير العميم للناس كافة هم أولئك الذين أنجبتهم وربتهم عائلات وأسر فاضلة اعتبرت أن افضل ما تقدمه من العمل الصالح الذي ينفع العباد والبلاد بعد آداء ما فرض الله تبارك وتعالى مما هو حق له جلّ وعلا وهو الايمان به ربّا واحدا لا شريك له وآداء ما أوجبه الله تبارك وتعالى من شعائر هي الصلوات الخمس وصيام رمضان وآداء زكاة الاموال وحجّ بيت الله الحرام واجتناب كل ما نهى الله عنه من الفواحش ما ظهر منها وما بطن إنّ أفضل ما يتقرّب به إلى الله بعد ذلك مباشرة هو تنشئة الأبناء والبنات تنشئة صالحة والاهتمام بكلّ شان من شؤونهم وعدم اهمالهم فالزاوج الذي به يهب الله للزوجين البنين والبنات ليس هو استجابة لما خلق الله تبارك وتعالى من غرائز يشترك فيها الإنسان مع بقية الكائنات الحيّة– فذلك حاصل غير مقصود به الزواج تتحقق العفّة فإن من تزوّج فقد ملك نصف دينه فليتقّ الله في النصف الآخر.

والنصف الآخر هو ما سبق ذكره من حقّ الله على عباده وما يُضاف إلى ذلك من المسؤوليات التي يتحملها الإنسان ويحاسب عليها ان هو قصّر في أدائها- وأولى هذه المسؤوليات هي مسؤولية كل أب وكل أم عن ابنائهما والتي تتجاوز الرعاية المادية والتي تبدأ بالحمل والرضاعة والاطعام والاسكان وكل ما يحتاج الأبناء والبنات من الجوانب المادية الجسيمة والتي جعل الله القيام بها من طرف الآباء والامهات جبلة وغريزة حتى لدى الحيوان فضلا عن الإنسان العاقل الذي خصّه الله تبارك وتعالى بتلقي الهداية عن طريق من أرسلهم من الأنبياء عليهم السلام.

إن ما ينبغي التنبيه إليه والتذكير به هو واجب آخر كثيرا ما لا يأخذ حقّه انه التوجيه والارشاد والنصح للأبناء والبنات خصوصا في مقتبل اعمارهم عندما يكونون مستعدين للتلقي من الآباء والامهات النصح والتوجيه إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال أولا بإعطاء القدوة والاسوة – وهي ابلغ الف مرة واشدّ تأثيرا في الانفس- والانفس ميّالة إلى اتباع النموذج الامثل في مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال – وهو المنهج الذي ارشدنا الله إليه في كتابه العزيز من خلال ما جسّمه في حيز الواقع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي امرنا الله باتباعه وجعل تصديقنا لمحبتنا لله إنما يتحقق باتباعه عليه الصلاة والسلام ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ والإنسان مجبول على اتباع من يجسم الفضائل ومكارم الأخلاق في الصدق والامانة والعفاف والحياء والكرم والاحسان ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ذلك كان مضرب المثل وكيف لا وقد ادبه ربه فأحسن تاديبه وجعله جلّ وعلا على خلق عظيم شهادة من الله لم ينلها قبله ولا بعده أحد من الناس.

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآنا يمشي على الأرض، وليس ملكا لا يأكل الطعام، ولكنه إنسان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتزوج النساء ويصوم ويفطر- ومع كل ذلك فقد جعله الله القدوة والاسوة: زوجا مع زوجاته وصاحبا قريبا من أصحابه وأبا حنونا عطوفا رحيما مع ابنائه وبناته ومع الناس كافة : فقيرهم وغنيهم ضعيفهم وقويهم: رأفة ورحمة وشفقة وكيف لا والله تبارك وتعالى يوجهه تشريفا ويأمرنا تكليفا ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ فكان في كل ذلك عليه الصلاة والسلام القدوة والاسوة.

ولا أسوة ولا قدوة لمن اخالف أقواله وأفعاله والله تبارك وتعالى يقول: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ وما سكن حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوب الجميع إلا لما رأوا فيه عليه الصلاة والسلام من تجسيم وتجسيد وتطبيق لكل ما يدعو إليه ويأمر- فكان عليه الصلاة والسلام هو السابق إلى فعل الخير وهو السابق دائما لترك كلّ شر وضرر هذا هو المنهج القويم في التربية والتوجيه.

لن تؤثر أقوالنا وما ندعو إليه أبنائنا وبناتنا والناس عامة إلا متى راونا نأتي ما نأمر به ونجتنب ما ننهي عنه هذه هي التربية العملية التي تؤثر في الانفس فتجعلها تقتدي إلى فعل الخير.

وأوّل من يوجه إليهم النصح في هذا المجال هم الآباء والامهات- إن أبناءكم وبناتكم ستسالون عنهم يوم القيامة – ولا يقلّ جرما إهمال تربية الأبناء والبنات عن إهمال القيام بشؤونهم الحياتية المادية. بل إن إهمال تربية الاباء والبنات وتحميل الغير مسؤولية ذلك لهو تعرب وهو ما سيحاسب عليه كل الاباء والامهات يوم القيامة تصرّح بذلك آيات الكتاب العزيز وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ﴾ فعلى الاباء والامهات تقع مسؤولية تربية الأبناء وتوجيههم ولنحذر معاشر الاباء والامهات من تمثل أبنائنا وبناتنا بقول من قال

(هذا ما جناه أبي علي وما جنيت على أحد)

إن أبنائنا وبناتنا خصوصا في هذا الزمان الذي عمّت فيه الفتن بكل مظاهرها ولم يعد يقيد شرها وضررها وعدوانها حدود ولا أسوار ولا ابواب تغلق دونها – وهي اليوم تلاحق أبناءنا ليس في الشارع الذي هو كما نرى من التفسّخ والتسيّب واللامبالاة !! بل في المنازل من خلال هذه الوسائط المعلوماتية والتي هي سلاح ذو حدّين والحدّ الهدام لمكارم الأخلاق وللعقيدة السليمة هو الحدّ الاكثر انتشارا والذي افتكّ منا فلذات أكبادنا. ومع ذلك فإن الخير دائما هو الذي يغلب والباطل هو الذي يزهق شريطة التنبه إلى الخطر والقيام بكل ما يجب من الرعاية والاحاطة وتخصيص أكثر وقت ممكن للأبناء والبنات وتقديم ذلك على كل ما سواه من غير الواجبات الدينية والحياتية.

إن أبناءنا وبناتنا في أمسّ الحاجة الينا في هذه المرحلة من اعمارهم وهم لا يزالون صغارا- ومتى نجحنا ونسال الله أن يمدنا بعونه في آداء هذه المهمة- فإننا نكون قد أرضينا ربنا وقدمنا لأمتنا ومجتمعنا أعظم خدمة لا يستطيع أن يعوضنا فيها أي طرف آخر ولو جعلنا ذلك ديدنا وهمنا وتعاونا على ذلك فلن نعدم الثواب والاجر وسيحمد الجميع صنيعنا ويجني الجميع ثمرته المتمثلة في خلق كريم يعيش به الناس فيما بينهم في كنف الوئام والاخوة والمحبة والاستقامة مما يجنب الجميع ما نرى ملامحه ومظاهره متمثلة في ظواهر لا عهد لنا بها من جنوح وانحراف وعنف واتيان بلا استحياء لرذائل لا تتلاءم مع كرامة الإنسان فضلا عن خلق المسلم نسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا إلى سواء والى الصراط المستقيم وان يعيننا على تربية ابنائنا مستهدين بما جاء في كتابنا العزيز وسنة نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام نعرض ان شاء الله في خطب قادمة نماذج منها انه هو السميع المجيب

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولوالدي ولوالديكم انه هو الغفور الرحيم.

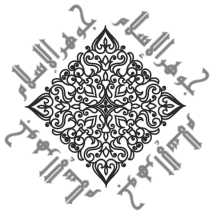

يسألونك قل

من يُرد به الله خيرا يفقهه في الدّين

بقلم فضيلة الشيخ الحبيب النفطي رحمه الله

كيفية الغسل

السؤال: يقول سائل محترم لم يذكر اسمه هل عندما يغتسل الإنسان ويريد ان يصلي يدخل في الصلاة مباشرة أو يتوضأ ثم يدخل في الصلاة؟

الجواب : اجيبك بما يفيدك ان شاء الله اعلم ان المغتسل من الجنابة يطلب منه على سبيل الاستحباب ان يتوضأ الوضوء الاصغر بعد الاستنجاء وازالة ما بفرجه من الاذى كالمني مثلا ثم يتوضأ فيغسل اعضاء الوضوء مرة مرة بنية رفع الجنابة واذا كان المكان الذي يغتسل فيه طاهرا يغسل رجليه كذلك مع تخليل اصابع رجليه واذا لم يكن المكان الذي يغتسل فيه طاهرا فانه يبقي غسل رجليه إلى آخر غسله فيغسلهما ثم بعد تقديم هذا الوضوء الاصغر يبل المغتسل يديه من غير ان يحمل فيهما ماء فيخلل شعر رأسه ثم يغرف ثلاث غرفات من الماء بيديه فيفيض الغرفات الثلاث على راسه فيغسله ويخلل شعر راسه ثم يغسل رقبته وما تحت لحييه ويغسل اذنيه مع امالة راسه عند غسل اذنيه ثم يغسل جنبه الايمن من امام ومن خلف إلى ان يبلغ كعبيه ثم يغسل جنبه الايسر كذلك من امام ومن خلف إلى ان يبلغ كعبيه ويتتبع المواضع الخفية فيغسلهما كالابطين والرفغين اي المكان الذي في نهاية الفخذ من امام وكذلك ما تحت الركبتين وكذلك ثقبة السرة وطيات البطن ان كان في البطن طيات ينبو عنها الماء وفي اثناء الغسل يطلب من المغتسل الدلك مع صب الماء ويطلب منه ان يحترز من مس ذكره في اثناء غسله حتى يمكن له ان يصلي مباشرة من غير ان ياتي بوضوء

جديد فان مس ذكره في اثناء غسله يجب عليه ان ياتي بوضوء اصغر جديد كي تصح صلاته هذه هي صفة الغسل المطلوبة شرعا

حكم الشك في الوضوء (الوسوسة)

السؤال :انني كثير الشك في بقائي على وضوء عندما أشرع في الصلاة أتساءل هل انتقض وضوئي أم لا؟ فما أفعل يا سيدي؟

الجواب: اذا كنت كثير الشك هل انت باق على وضوءك ام انتقض وضوءك خصوصا عند شروعك في الصلاة فهي وسوسة أصبت بها عافاك الله منها فعلاجها ان تلغيها وتباشر صلاتك معتقدا انك على وضوء لانك متيقن لسبق الوضوء شاك في حصول ناقض الوضوء واليقين لا يرفع بالشك وهذا على مذهب الإمام احمد بن حنبل اما على مذهبنا المالكي فان وضوءك قد انتقض بالشك وانا قد اجبتك بمقتضى المذهب الحنبلي دفعا للمشقة والله اعلم

معنى ان تلد الامة ربتها (من علامات الساعة)

السؤال: – ما معنى تلد الامة ربتها؟

الجواب: جاء في الحديث الذي رواه سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه والذي اخرجه الشيخان البخاري ومسلم وهو حديث مطول معروف بحديث جبريل عليه السلام ومضمونه سؤال جبريل للنبي عليه الصلاة والسلام عن الإسلام والايمان والاحسان إلى ـأن سأله عن الساعة متى قيامها فقال النبي عليه السلام ما المسؤول عنها باعلم من السائل فقال جبريل عليه السلام:اخبرني عن اماراتها (اي الصغرى) فقال النبي عليه السلام: ان تلد الامة ربتها اي سيدتها واختلف العلماء في تفسير هذه الجملة (ان تلد الامة ربتها) فذهب بعضهم إلى ان معناها ان يكثر عقوق الأبناء للاباء والامهات حتى تصبح البنت تعامل امها معاملة السيدة للخادمة تتامر عليها وتستخدمها وتطيل عليها لسانها وربما توبخها كما توبخ السيدة خادمتها وهذه علامة من علامات قيام الساعة. اما ما ذهب إليه بعض العلماء الاخرون في تفسير معنى (ان تلد الامة ربتها) فلا فائدة في ذكره الان لانه قد مضى في ذمة التاريخ

إشعاع مدرسة عمر بن الخطاب خارج تونس

بقلم الأستاذ صالح العود

تقع هذه المدرسة العريقة في بلدة سكرة بإحدى ضواحي العاصمة تونس، وقد أسّسها صاحبها والمشرف الأوّل عليها: أحد الأبرار، من علماء جامع الزيتونة الأخيار، الشيخ حسن الورغي، المتوفى عام 2010 رحمه الله وانابه.

كانت الرسالة الاولى للمدرسة، وهدفها الأساس: هو تحفيظ القرآن الكريم لمن دخلها وانخرط في سلكها وسلوكها، وكانت تستقبل من داخل الوطن وخارجه، وكان للطلبة الأفارقة قدم ومقرّ فيها، فجاؤوها من كلّ فجّ عميق، وهرعوا إلى شيخها الفاضل والأثيل، إذ كان يُعلّمهم ويحفّظهم، ثم يطعمهم ويسقيهم، بل ويكسوهم شتاء وصيفا، ويؤويهم ...فقد كانوا عنده بمقام الأبناء، وفلذات الكبد.

وخيرا فعل الشيخ المفضال: حسن الورغي رحمه الله وطيّب ثراه، إذ ترك فيهم أثرا بالغا لا يُمحى حتى اليوم، والدليل على ذلك، أني عرفت (اثنين) ممّن حفظوا القرآن عنده وتخرجوا على يديه، واصبحوا اليوم من دعاة افريقيا، وحملة رسالة العلم والتعليم.

أوّلهما: الشيخ عبد العزيز محمود بأوي ، الذي غدا في يوم من الأيام «مفتيا» في بلاده: غانا GHANA ، وأسّس مدرسة فيها لتعليم العلوم الشرعية، ومسجدا يؤم فيه، ويخطب، ويدرّس، وله جولات دعويّة يدعو فيها إلى الإسلام الحق، كما أن له برامج تلفزيونية، وإقامة حوارات ومناظرات مع النصارى ورهبانهم ...ومن أعماله الباهرة،

أنه قام بالترجمة من العربية إلى لغة «الهوسا» إحدى اللغات الافريقية الشهيرة والمنتشرة في ربوعها الواسع، كتابين اثنين: 1-الافتاء في الإسلام. 2-الخلاصة النقية للسيرة النبوية، وكلاهما للشيخ صالح العود، وقد طُبعا وعمّ النفع بهما: العلماء، وسائر المتعلمين، وغيرهم من المثقفين، جزاه الله خيرا وأثابه، وزاده حرصا وتوفيقا، ورضا الله.

ثانيهما:الشيخ مصباح الدين إبراهيم الزيتوني، والذي غدا اليوم مديرا مباركا في مدرسته التي أسّسها باسم: مؤسسة نون والقلم التعليمية، في مدينة لاغوس بنيجيريا، وهي ذات مراحل ثلاث: (الابتدائية، والاعدادية، والثانوية)

وهناك خير كثير من أولئك الطلبة الافارقة الذين انتسبوا إلى مدرسة عمر بن الخطاب بتونس، ودرسوا على يدي الشيخ حسن الورغي، وحفظوا القرآن عنده، لكن لا نعرفهم، ولم تصلنا بعدُ أخبارهم ولا أعمالهم... ولمثل هذا فليعمل العاملون...

فرحمه الله تعالى، رحمة الابرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار ..

وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين

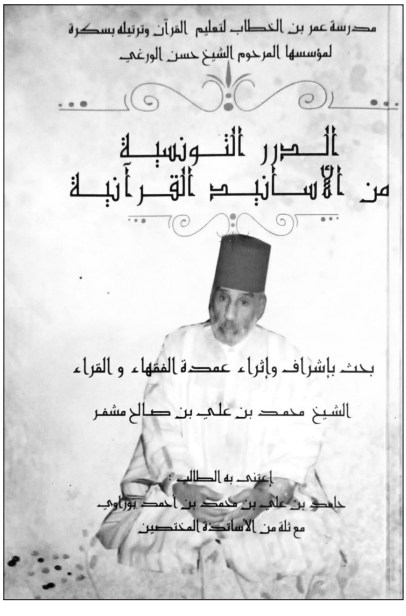

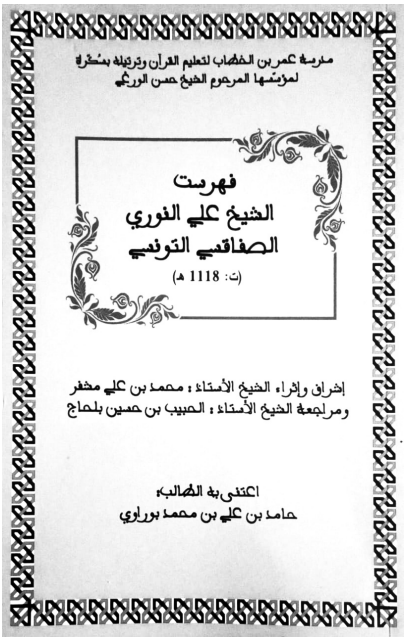

في الجريد تنفجر روحي

بقلم الأستاذ صالح الحاجة

قال لي صديق أحبه ويحبني انه سيذهب في رحلة إلى الجريد ..
قلت له في ما قلت : بالله سلملي على ذلك البر الجميل الوديع المسالم ...
وأكدت له انه سيشعر وهو في تلك الأرض الطيبة انه اقترب اكثر واكثر من الله ..
ان ربي قريب من عباده في كل مكان وزمان ولكنه في الجريد اقرب من القريب...
ما من مرة ذهبت فيها إلى توزر إلاّ وانتقلت من الأرض إلى السماء ..
ومن الاضطراب إلى الاستقرار..
ومن القلق والأرق إلى الطمأنينة ...
إنني إتحول إلى ومضة ...إلى كتلة من نور ...إلى دعاء ..إلى صلاة ..
في توزر أنا لست أنا ..
انه المكان الذي تنفجر فيه روحي ..
والمكان الذي استمتع فيه بسياحة روحية من النادر أن أجدها في أماكن أخرى ...
هنا في هذا المكان التقي بالروح ...فاحلق ..وانتشي...واتامل ...وارقص رقصة الدراويش...
هنا التقى بكبار الشعراء الصوفيين فاصغي اليهم بقلبي قبل أذني ..
هنا افترش الأرض والتحف بالسماء والتحم بالنخيل ..
هنا أعود من بعيد ..
أعود إلى النبع الصافي ...والحضن الدافئ ...فأتعافى ...واستعيد أحلامي الضائعة وشبابي الهارب ..

entreprise à l'échelle mondiale depuis six décennies par les différents bras actifs de la Ligue islamique mondiale. La vision d'une direction religieuse wahhabite sur le monde islamique a pu se développer considérablement grâce au soutien du gouvernement saoudien et aux revenus colossaux du pétrole qui sont distribués sous condition de diffuser le message wahhabite, mais aussi, paradoxalement, de pays occidentaux. Il existe actuellement de nombreux mouvements (ou sous-produits) adhérant à l'idéologie wahhabite et dont l'enseignement pratique résulte dans une haine de la « corruption qu'apporte la modernité » et, sur le plan politique, la volonté de renverser les régimes perçus comme « corrompus » de leurs pays d'origine.

3. Le soufisme ou l'Islam de paix

Le soufisme préserve depuis toujours les composantes intérieures et spirituelles de l'Islam (foi et excellence) qui ont été réduites à des concepts inertes dans le wahhabisme. La vision soufie maintient l'équilibre entre la dualité intérieur – extérieur de la religion et respecte la hiérarchie de ses composantes. Ce faisant, les signes extérieurs (barbe, foulard, e.a.) perdent l'importance primordiale qu'ils occupent dans l'idéologie wahhabite.

Le soufisme se caractérise par un enseignement qui prône l'effort individuel sur soi-même et par lequel l'individu s'efforce de vaincre ses tendances inférieures. Le *jihad al-nafs* ou le combat intérieur est décrit par le prophète de l'Islam comme « *le plus grand des combats* ». Cet enseignement inculque des principes de non-violence, de respect de la différence ainsi que d'action et de pensée positives. Il en résulte un équilibre spirituel et moral où l'individu est à la fois en harmonie avec lui-même et son environnement.

La promotion du soufisme ou Islam universaliste et ouvert serait le meilleur moyen à opposer, au niveau idéologique, à l'expansion de l'Islam dévoyé propagé par l'idéologie wahhabite. En effet, en transcendant la forme dans laquelle s'est enfermé le wahhabisme et ses dérivés, le soufisme permet à ses adeptes de trouver les valeurs communes aux différentes cultures et de s'y intégrer avec harmonie.

La diffusion de cet enseignement constitue un moyen permettant aux jeunes musulmans, en particulier de deuxième et troisième générations qui souffrent d'acculturation, de s'intégrer harmonieusement dans la société occidentale, exception faite des autres problèmes, notamment de nature économique.

Présent au travers de toute l'histoire de la civilisation musulmane, la diffusion du soufisme fut limitée durant la période d'expansion du wahhabisme parce que ne bénéficiant d'aucun soutien gouvernemental et financier dans le monde arabo-islamique ou occidental. De plus, le soufisme est activement combattu par les wahhabites-salafistes parce que ne cadrant pas avec leur vision littéraliste, sectaire et atrophiée de la religion.

De nombreuses chroniques du moyen âge relatent les contacts entre les spirituels chrétiens, juifs et musulmans. La convergence avec l'enseignement des pères de l'église et du judaïsme est claire. Par la transcendance des formes rituelles, les adeptes des religions monothéistes retrouvent des valeurs communes qui leur permettent de vivre en harmonie parce que la source et les principes ainsi que le retour sont les mêmes. Aussi n'est-il plus question de prétendre d'avoir raison et d'essayer de convertir son/ses interlocuteur(s) parce qu'on prend conscience de la convergence.

Madagh, 15 septembre 2024

des conceptions d'un prédicateur, Mohammad Abd al Wahhab, qui s'est allié avec un chef bédouin, Ibn Séoud, pour enlever le califat (direction politique et religieuse) aux Ottomans. Le royaume d'Arabie Saoudite naquit officiellement en 1926 lorsque l'émir Abd Allah a fui Jeddah pour céder la place au nouveau pouvoir.

Si Ibn Séoud a limité ses ambitions territoriales à l'Arabie, les descendants d'Abd al Wahhab n'ont jamais renoncé à la volonté d'étendre leur idéologie à l'ensemble du monde musulman. Cette alliance entre Abd al Wahhab et Ibn Séoud perdure jusqu'à nos jours dans une symbiose où, d'une manière réductrice, les descendants d'Al Saoud ont l'argent et ceux d'Al Wahhab (aussi appelé en Arabie Ahl-al-Cheikh) exercent le contrôle sur toutes les affaires religieuses, l'enseignement, l'information et les média, l'intérieur, la justice et les fondations caritatives.

Le wahhabisme-salafisme a gommé de l'Islam toute la dimension intérieure de la religion (foi ou Imân et Ihsân ou excellence) et se fonde sur une interprétation littéraliste et dénuée de toute réflexion humaine du Coran et de la sounnah (compilation des paroles et actes du prophète Muhammad et de ses premiers compagnons). La dimension intérieure est réduite à un concept dénué de sa substance.

Après avoir réduit la foi (imân) et l'excellence (ihsân) à des concepts abstraits, le wahhabisme a identifié la foi, dont il ne pouvait nier les références écrites, avec le rituel extérieur. Ceci a pour conséquence pratique de réduire la foi à un conformisme extérieur. Le prophète et ses premiers compagnons sont cités en exemple idéal à accomplir, mais uniquement dans l'extériorité. De ceci découle l'impression entretenue par les prêcheurs wahhabites que la foi augmente avec l'accroissement du conformisme à des références seulement externes (la longueur de la barbe, le voile serré sur les cheveux des femmes, les pantalons raccourcis au-dessus des chevilles, p.ex.).

La conséquence directe d'une telle vision politique et pratique suscite auprès de ses adeptes méfiance, voire rejet, de tout ce qui n'adhère pas ou ne correspond pas à la référence extérieure. Les émules wahhabites s'efforcent dans ces situations de « rectifier les erreurs » dans l'ordre suivant (en vertu d'une parole du prophète Muhammad interprétée à leur avantage) : par la main (ou l'action dont la manifestation la plus extrême est la violence), sinon la langue (le prêche des prosélytes wahhabites est très structuré) ou, à défaut, le « cœur » (réprobation intérieure qui, entretenue au jour le jour, suscite une négativité et un retrait de la société).

Une telle idéologie est enseignée dans les écoles saoudiennes, diffusée dans les mosquées et les média, propagée activement dans le monde (en conformité avec la vision hégémonique qui caractérise la wahhabisme) par des missionnaires en provenance de tous les pays qui vont chaque année se former idéologiquement dans les écoles théologiques saoudiennes de Médine et de Riyadh, par des envoyés chargés de diriger les centres islamiques financièrement dépendants de la Ligue islamique mondiale (Rabita al ʿAlami al Islami), mais aussi par l'intermédiaire des millions de Musulmans qui se rendent chaque année dans les lieux saints de la Mecque et Médine où ils s'imprègnent d'un discours qu'ils iront sincèrement diffuser dans leurs familles une fois de retour au pays. La ligue islamique mondiale est un important organe d'action extérieure du wahhabisme ; les centres islamiques officiels des pays européens sont financés par celle-ci. Le personnel dirigeant et d'enseignement de ces centres est constitué de diplômés en théologie chargés de prêcher et d'enseigner tant dans les mosquées qu'aux enseignants de religion islamique.

L'image donnée par les musulmans wahhabites-salafistes en Europe occidentale et dans bien des parties du monde n'est que le fruit de l'action multidirectionnelle

Islam : l'original et ses déviations

Par Antony Abd Allah Bousmar

Une description de l'Islam s'impose pour démontrer ensuite les déviations causées par le wahhabisme-salafisme. A l'opposé de cette vision sectaire et intolérante subsiste, quoique de façon plus diffuse mais vivante, la version originale de l'Islam sous la forme du soufisme universaliste et ouvert.

1. composantes d'une religion - 2. wahhabisme-salafisme : une idéologie qui génère le rejet de la différence des apparences - 3. le soufisme, l'Islam universaliste et ouvert

1. **Composantes d'une religion**

Toute religion se divise en une double composante : rituelle ou exotérique et spirituelle ou ésotérique. Cette dualité intérieur – extérieur se définit en Islam par trois composantes fondamentales : a/ Islam ou rite, pour la dimension externe d'une part, et b/ Imân ou foi et c/ l'Ihsân ou perfection, pour la dimension externe d'autre part. Ce couple intérieur – extérieur et la hiérarchie des composantes est propre à toute religion.

Ces composantes s'interpénètrent dans un ensemble organique à l'image d'une orange où la partie intérieure est représentée par la pulpe du fruit - la foi s'apparente au côté gustatif - et les pépins - le centre essentiel porteur de vie qu'est l'Ihsân et dont le siège symbolique est le coeur. La partie rituelle – par son extériorité – serait représentée par la peau du fruit.

Cette intégration des composantes de la tradition va de pair avec une hiérarchie : la dimension intérieure (Imân et Ihsân) est supérieure au rite (Islam) en ce que ce dernier y tire sa vivacité, à l'exemple de l'os qui est nourri, oxygéné et défendu respectivement par les globules rouges et blancs générés dans sa moëlle. Autrement dit, l'extérieur tire sa vie de l'intérieur et non le contraire.

L'objectif de l'Islam, comme de toute tradition révélée, est de faire un homme un être équilibré qui, outre le respect des Commandements divins, agit avec droiture dans ses affaires terrestres. C'est un processus d'éducation de son âme charnelle en vue de la purifier des tendances égoïstes vers lesquelles elle est naturellement attirée parce que créée. C'est le programme d'une vie et dont l'excellence est le sommet. L'Ihsân est défini par « *Adorer Dieu comme si tu Le voyais, et même si tu ne Le vois pas, Il te voit* ».

2. Le wahhabisme-salafisme : **une idéologie qui génère l'intolérance**

Le wahhabisme, qui n'est pas une école jurisprudentielle de l'Islam, est le produit

JAWHAR EL ISLAM
Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 9/10 - 22ème année

SOMMAIRE

Islam : l'original et ses déviations 2

Par Antony Abd Allah Bousmar